# أهل أحد

قال بعض العلماء: إن أهل أحد مقدمون على أهل بيعة الرضوان؛ لأن أهل بيعة الرضوان من الصحابة، ومن كان من أهل بدر، ومن العشرة ومن أهل بيعة الرضوان، ومن أهل أُحُد يعني بعض الصحابة اجتمعت لهم الأوصاف الأربعة، وبعضهم لا.

فإذا قلنا: إن أهل أحدٍ مقدمون على أهل بيعة الرضوان، أيهم أكثر؟ أهل بيعة الرضوان لأن أهل بيعة الرضوان ألف وأربعمائة، وأهل أُحُد نحو سبعمائة نفر، لكن أصابهم من البلاء والتمحيص والقتل ما لم يكن في بيعة الرضوان؛ لهذا رجح بعض العلماء أهل أُحُد على أهل بيعة الرضوان، ولكن الذي يظهر القول الأول: أن أهل بيعة الرضوان أفضل؛ لأن أهل بيعة الرضوان استحقوا الرضا ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨].

أما أهل أُحُد فاستحقوا العفو، وفرق بين هذا وهذا، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢] ففرق بين من استحق وصف العفو وبين من استحق وصف الرضوان أيهما أكمل؟

الثاني أكمل؛ فالصحيح: أن أهل بيعة الرضوان الضربة أفضل من أهل أُحُد، مع أنه ربما يكون أهل أحد قد شملتهم بيعة الرضوان،أما أهل أحد فالقصة فيهم معروفة.

سبب الغزوة: أن قريشًا لما هُزموا تلك الهزيمة النكراء في بدر ورجعوا إلى بلدهم تشاوروا فيما بينهم وقالوا: استأصل شأفتنا، وقتل خيارنا، وساداتنا، فلنخرج إليه حتى نأتيه في المدينة ونقضي عليه، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة يريدون القضاء على رسول الله ﷺ، واستشار النّبي ﷺ أصحابه هل يخرج أو لا يخرج، فالذين لم يشهدوا بدراً قالوا له: اخرج. ماذا يريدون؟

يريدون الشهادة في الغزو، والذين حضروا بدرًا قالوا: يا رسول الله نبقى في المدينة، فإذا جاءونا قضينا عليهم، ولكن الرسول ﷺ رجّح رأي الذين قالوا بالخروج، فدخل بيته من أجل أن يتأهب للحرب ويلبس لأمة الحرب والدرع وغير ذلك، فكانهم تشاوروا فيما بينهم قالوا: لعلنا أكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج؛ لأنه كان يميل إلى أنهم لا يخرجون، فلما خرج عليهم وقد لبس لأمة الحرب على رأسه، واستعد للحرب قالوا: يا رسول الله، لو تركنا هذا وبقينا على الرأي الأول أن نبقى في المدينة، فإذا جاءوا قاتلناهم.

فقال: «**ما كان ينبغي لنبي لبس لأمة الحرب حتى يقضي الله بينه وبين عدوه**» فخرج ومعه ألف نفر سبعمائة مؤمنون خلص، وثلاثمائة منافقون، وكان المنافقون لا يريدون الغزو، يقولون: ابقوا ها هنا، ولما كان في أثناء الطريق قال عبد الله بن أُبيّ رأس المنافقين: محمد يطيع صغار السن ويعصينا، لا يمكن أن نقاتل فرجع بثلث الجيش، ثلث الجيش ليس بالأمر الهين في كسر قلوب الجيش، لولا أن الله تعالى أعان المسلمين بالإيمان لانخذلوا إذا رجع من الجيش ثلثه، هل يبقى على عزيمته الأولى؟

أبدًا، ولهذا حرّم الفرار من الزحف، ولو واحدًا من الناس يفر؛ لأنه يكون سببًا لضعف النفوس ووهن القلوب والهزيمة، لكن هؤلاء صمموا حتى كانت الغزوة في أُحُد، تغيّر وكان في أول النهار النصر للمؤمنين إلاّ أن الله أراد بحكمته خلاف ذلك، فإن النّبيّ ﷺ جعل خمسين راميًا وأمّر عليهم عبد الله بن جبير، وجعلهم على ثغر في الجبل، وقال: «**لا تبرحوا مكانكم أبدًا سواء لنا أو علينا**» فلما انكشف المشركون وانهزموا صار المسلمون يجمعون الغنائم، قال الرماة بعضهم لبعض: انكشف المشركون، وولوا الأدبار، فانزلوا انزلوا خذوا من الغنائم، اجمعوها كما يجمعها الناس، فذكرهم أميرهم عبد الله بن جبير بقول النّبيّ ﷺ، ولكن ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

نزلوا إلا نفرًا قليلاً لا يغنون شيئًا، وإذا فرسان قريش النبيهين الشجعان رأوا المكان خاليًا فكروا على المسلمين من خلف الجبل، ومنهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وهما بعد ذلك فارسان من فرسان المسلمين والحمد لله، فاختلط المشركون بالمسلمين من ورائهم، وحصل ما حصل من الأذى والضرر والقتل وأصاب المسلمين محن عظيمة لا على الرسول ﷺ ولا على أبي بكر ولا عمر ولا غيرهما.

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسد الله وأسد رسوله ﷺ يمثل به بعد أن قُتل، حتى قيل إن هند بنت عتبة أخذت من كبده فرت بطنه وأخذت كبده، وجعلت تأكله لكنها عجزت أن تبلعه بإذن الله عز وجل، والرسول ﷺ شجّ وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه وكسرت رباعيته وحصل له من التعب والمشقة ما لا يصبر عليه إلاّ أمثاله عليه الصلاة والسلام وقتل منهم سبعون نفرًا وأصابهم غم بغم، ولكن الله عز وجل سلاهم بآيات كثيرة في سورة آل عمران نصفها أو أكثر كلها عن هذه الغزوة، وكانت النتيجة أن قتل منهم سبعون نفرًا، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ١٦٥]، كيف هذه المصيبة؟ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ أنتم السبب، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ هو قادر عز وجل على أن يكشف المشركين ولا ينالكم سوء لكن أنتم البلاء ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ يقول هذا لمن؟ لجند معهم رسول الله ﷺ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾.

وما هي المعصية التي فعلوا؟ معصية يسيرة، فما ظنكم بنا الآن؟ نعم هل عندنا شيء يمنعنا من النصر؟

أقول: ليس عندنا شيء يوجب لنا النصر، كثير من حكام المسلمين لا يرضون أن يحكموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكثير من حكام المسلمين يُلاحقون المؤمنين بالله ورسوله، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾

[البروج: ٨]، وكثير من أسواق المؤمنين تُشرب فيها الخمور، وتُعاقر فيها النساء، وكثير من حكام المسلمين لهم موالاة ظاهرة مع أعداء الله، فهل يمكن أن يكون النصر لهؤلاء؟!.

أبداً قد يكون هؤلاء أحق بالخذلان من الكفار الخلص؛ لأن الكفار كفار، لكن هؤلاء ينتمون إلى الإسلام، وهم لا يؤمنون بالإسلام حقيقة؛ ولذلك نبذوا الكتاب وراء ظهورهم إلاّ من شاء الله.

فأقول: إننا ما أُصبنا بهذه المصائب التي نحن غليها اليوم إلاّ بسبب ذنوبنا وذكرت لكم سابقًا أن ذلك بسببين:

**الأول** - الذنوب.

**الثاني** - الامتحان لنصبر أو لا نصبر؛ لأنني قلت لكم إنه الآن ولله الحمد هناك نهضة شبابية إسلامية، فيمتحن هؤلاء هل يصبرون أو لا يصبرون، قال الله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا** ﴾، يعني معهم رسولهم ﴿ **حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ** ﴾ قال تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾** ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فالحاصل: هذه غزوة أُحُد حصل فيها من البلاء والتمحيص ما لم يحصل في غيرها، ولهذا قال بعض العلماء: إنها أفضل من غزوة الحديبية، ولكن الصحيح: أن أهل الحديبية أفضل من أهل بدر؛ وذلك لأن الله تعالى أحل عليهم رضوانه وأما هؤلاء فقال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ** ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

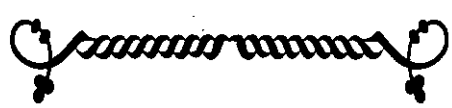

## محبة أهل بيت رسول الله ﷺ

ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله ﷺ، يحبونهم لأمرين: للإيمان وللقرابة من رسول الله ﷺ، ولا يكرهونهم أبداً، ولكن لا يقولون كما قال الرافضة: كل من أحبّ أبا بكر وعمر؛ فقد أبغض عليًا، وعلى هذا فلا يمكن أن نحب عليًا حتى نبغض أبا بكر وعمر، وكان أبا بكر وعمر أعداء لعليّ بن أبي طالب مع أنه تواتر النقل عن عليّ رضي الله عنه أنه كان يُثني عليهما من المنبر.

فنحن نقول: إننا نُشهد الله على محبة آل بيت رسول الله ﷺ وقرابته؛ نحبهم لمحبة الله ورسوله.

ومن أهل بيته أزواجه بنص القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)** ﴾ [الأحزاب: ٢٨- ٣٣]، فأهل البيت هنا يدخل فيهم أزواج النبيّ ﷺ بلا ريب.

وكذلك يدخل في قرابته فاطمة وعليّ والحسن والحسين وغيرهم كالعباس بن عبد المطلب وأبنائه، فنحن نحبهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ ولإيمانهم بالله، فإن كفروا؛ فإننا لا نحبهم، ولو كانوا من أقارب رسول الله ﷺ، فأبو لهب عمّ الرسول ﷺ لا يجوز أن نحبه بأي حال من الأحوال، بل يجب أن نكرهه؛ لكفره ولإيذائه النبيّ ﷺ، وكذلك أبو طالب؛ يجب علينا أن نكرهه لكفره، لكن

نحب أفعاله التي أسداها إلى الرسول ﷺ من الحماية والذب عنه، ويجعلونهم من أوليائهم، والولي: يُطلق على عدة معان، يُطلق على الصديق والقريب والمتولي للأمر، وغير ذلك من الموالاة والنصرة، وهنا يشمل النصرة والصداقة والمحبة. ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم: **«أذكركم الله في أهل بيتي»** (١).

وهذا الغدير ينسب إلى رجل يسمى «خم» وهو في الطريق الذي بين مكة والمدينة، قريب من الجحفة، ينزل الرسول ﷺ فيه منزلاً في رجوعه من حجة الوداع؛ وخطب الناس، وقال: **«أذكركم الله في أهل بيتي»** ثلاثًا، يعني: اذكروا الله، اذكروا خوفه وانتقامه إن أضعتم حق آل البيت، واذكروا رحمته وثوابه إن قمتم في حقهم. «هاشم»: هو جد أبي الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أقسم ﷺ أنهم لا يؤمنون، أي: لا يتم إيمانهم، حتى يحبوكم لله (٢)، وهذه المحبة يشاركهم فيها غيرهم من المؤمنين؛ لأن الواجب على كل إنسان أن يحب كل مؤمن لله، لكن قال: **«ولقرابتي»**: فهذا حب زائد على المحبة لله، ويختص به آل البيت قرابة النبيّ ﷺ.

وفي قول العباس: «إن بعض قريش يجفو بني هاشم» دليل على أن جفاء آل البيت كان موجودًا منذ حياة النّبيّ ﷺ؛ وذلك لأن الحسد من طبائع البشر، إلاّ من عصمه الله عز وجل، فكانوا يحسدون آل بيت رسول الله ﷺ على ما منّ الله عليهم من قرابة النّبيّ ﷺ، فيجفونهم ولا يقومون بحقهم.

فعقيدة أهل السنة والجماعة بالنسبة لآل البيت: أنهم يحبونهم ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية الرسول ﷺ في التذكير بهم، ولا ينزلونهم فوق منزلتهم، بل يتبرؤون ممن يغلون فيهم، حتى يوصلوهم إلى حد الألوهية، كما فعل عبد الله ابن سبأ في عليّ بن أبي طالب، حين قال له: أنت الله!! والقصة مشهورة.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) وأحمد (٤/٣٦٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (١/٢٠٧).

## فضل عائشة رضي الله عنها

## الصديقة بنت الصديق

أما كونها صديقة، فلكمال تصديقها لرسول الله ﷺ، ولكمال صدقها في معاملته، وصبرها على ما حصل من الأذى في قصة الإفك.. ويدلك صدقها وصدق إيمانها بالله أنه لما نزلت براءتها، قالت: إني لا أحمد غير الله. وهذا يدل على كمال إيمانها وصدقها.

وأما كونها بنت الصديق؛ فكذلك أيضاً، فإن أباها رضي الله عنه هو الصديق في هذه الأمة، بل صديق الأمم كلها؛ لأن هذه الأمة أفضل الأمم، فإذا كان صديق هذه الأمة؛ فهو صديق غيرها من الأمم، قال النّبيّ ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»(١).

فقوله ﷺ: «**على النساء**»: ظاهره عموم؛ أي: على جميع النساء، وقيل: إن المراد: فضل عائشة على النساء، أي: من أزواجه اللاتي على قيد الحياة، فلا تدخل في ذلك خديجة.

لكن ظاهر الحديث العموم؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**كمُل من الرجال كثير، ولن يكمل من النساء إلاّ آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» وقد أخرجه الشيخان بدون ذكر خديجة، وهذا يدل على أنها أفضل النساء مطلقًا.

ولكن ليست أفضل من فاطمة باعتبار النسب؛ لأن فاطمة بلاشك أشرف من عائشة نسبًا، وأما منزلةً فإن عائشة رضي الله عنها لها من الفضائل العظيمة ما لم يدركه أحد غيرها من النساء.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٦٩) ومسلم (٢٤٣١).

وذلك يدل على أن هاتين الزوجين رضي الله عنهما في منزلة واحدة، والعلماء اختلفوا في هذه المسألة:

فقد قال بعض العلماء: خديجة أفضل؛ لأن لها مزايا لم تلحقها عائشة فيها.

وقال بعض العلماء: بل عائشة أفضل؛ لهذا الحديث، ولأن لها مزايا لم تلحقها خديجة فيها.

وفصل بعض أهل العلم، فقال: إن لكل منهما مزية لم تلحقها الأخرى فيها، ففي أول الرسالة لا شك أن المزايا التي حصلت عليها خديجة لم تلحقها فيها عائشة، ولا يمكن أن تساويها، وبعد ذلك، وبعد موت الرسول ﷺ، حصل من عائشة من نشر العلم ونشر السنة وهداية الأمة ما لم يحصل لخديجة؛ فلا يصح أن تفضل إحداهما على الأخرى تفضيلاً مطلقًا، بل نقول: هذه أفضل من وجه، وهذه أفضل من وجه، ونكون قد سلكنا مسلك العدل، فلم نهدر ما لهذه من المزية، ولا ما لهذه من المزية، وعند التفصيل يحصل التحصيل، وهما وبقية أزواج الرسول ﷺ في الجنة معه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **«هذا جبريل يقرأ عليك السلام»** قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته [1].

إنه من السنة إذا نقل السلام من شخص إلى شخص أن يقول: عليه السلام، وإن قال: عليك وعليه السلام أو عليه وعليك السلام، فحسن؛ لأن هذا الذي نقل السلام محسن، فتكافئه بالدعاء له، فإذا قال شخص لآخر: سلم لي على فلان، ثم نقل الوصية، وقال: فلان يسلم عليك، فإنه يقول: عليه وعليك السلام، أو يقول: عليه السلام، ويقتصر؛ لأن النّبيّ ﷺ بلّغ عائشة أن جبريل يقرأ عليها السلام، فقالت: عليه السلام، فدلّ ذلك على أنه إذا نقل السلام إليك أحد من شخص تقول: عليه السلام، ولكن هل يجب عليك أن تنقل الوصية إذا قال سلم لي على فلان، أم لا يجب؟.

---

(١) أخرجه البخاري (٦، ٣٢١٧) ومسلم (٢٤٤٧).

فصّل العلماء فقالوا: إن التزمت له بذلك وجب عليك؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وأنت الآن تحملت هذا، أما إذا قال: «سلم لي على فلان» وسكت أو قلت له مثلاً: إذا تذكرت أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يلزم إلاّ إذا ذكرت وقد التزمت له أن تسلم عليه، إذا ذكرت لكن الأحسن ألاّ يكلف الإنسان أحداً بهذا؛ لأنه ربما يشق عليه، ولكن يقول: سلم لي على فلان (على من سأل عني) هذا طيب أما أن يحمله فإن هذا لا ينفع؛ لأنه قد يستحي منك يقول نعم أنقل سلامك، ثم ينسى أو تطول المدة أو ما أشبه ذلك.

openkanal.com

## فضل خديجة رضي الله عنها

خديجة بنت خويلد تزوجها النّبيّ ﷺ أول ما تزوج وكان عمره حينذاك خمسًا وعشرين سنة، وعمرها أربعين سنة، وكانت امرأة عاقلة، وانتفع بها ﷺ انتفاعًا كثيرًا؛ لأنها امرأة ذات عقل وذكاء، ولم يتزوج عليها أحدًا.

فكانت: «أم أكثر أولاده»: البنين والبنات؛ لأن من أولاده من ليس منها، وهو إبراهيم، فإنه كان من مارية القبطية.

وأولاده الذين من خديجة هم ابنان وأربع بنات: القاسم، ثم عبد الله، ويُقال له: الطيب، والطاهر، وأما البنات؛ فهنّ: زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. وأكبر أولاده القاسم، وأكبر بناته زينب.

ولاشك أنها أول من آمن به؛ لأن النّبيّ ﷺ لما جاءها وأخبرها بما رأى في الغار (غار حراء) قالت: كلاّ؛ والله لا يُخزيك الله أبدًا، وآمنت به، وذهبت به إلى ورقة بن نوفل، وقصت عليه الخبر، وقال له: إن هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى.

«الناموس»: أي: صاحب السر، فآمن به ورقة.

ولهذا نقول: أول من آمن به من النساء خديجة، وأول من آمن به من الرجال ورقة بن نوفل.

ومن تدبر السيرة وجد لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من معاضدة النّبيّ ﷺ ما لم يحصل لغيرها من نسائه، قوله: «**وكان لها من المنزلة العالية**»: حتى إنه كان يذكرها بعد موتها صلوات الله وسلامه عليه، ويُرسل بالشيء إلى صديقاتها، ويقول: «**إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد**»[1] فكان يثني عليها، وهذا يدل على عظم منزلتها عند الرسول ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٣٨١٨) ومسلم (٢٤٣٥).

## فضل عمرو بن العاص رضي الله عنه

وعن ابن شماسة قال: حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً، وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ فأقبل بوجهه، فقال: إنّ أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، إني قد كنت على أطباق ثلاث: لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ منّي، ولا أحب إليّ من أنْ أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو متّ على تلك الحال لكنت من أهل النار.

فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبيّ ﷺ، فقلتُ: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه فقبضت يدي، فقال: **«ما لك يا عمرو؟»** قلت: أردت أن أشترط قال: **«تشترط ماذا؟»** قلت: أن يغفر لي، قال: **«أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»**. وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو متُّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها؟ فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني، فشنوا عليّ التراب شنًا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحرُ جزور، ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ما أراجع به رسل ربي» (١).

ذكر المؤلف - رحمه الله - في سياق الأحاديث الواردة في التبشير والتهنئة بالخير، حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، تلك القصة العظيمة، أنه حضره بعض أصحابه وهو في سياق الموت، فبكى بكاءً شديداً وحوّل وجهه نحو الجدار رضي الله عنه،

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١)، وقوله: «شنوا» روي بالشين المعجمة وبالمهملة، أي صبوه قليلاً قليلاً والله سبحانه اعلم.

وهو في سياق الموت سيُفارق الدنيا، فقال له ابنه: علامَ تبكي وقد بشّرك النّبيّ ﷺ بالجنّة؟ فقال: يا بني إني كنت على أطباق ثلاث، أطباق يعني أحوال، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [الإنشقاق: ١٩] يعني حالاً بعد حال.

ثم ذكر هذه الأطباق الثلاث؛ أنه كان يُبغض النّبيّ ﷺ بغضًا شديداً، وأنه لم يكن على وجه الأرض أحدٌ يبغضه كما كان يبغضه هو، وأنه يود أنه لو تمكّن منه فقتله، وهذا أشد ما يكون من الكفر، حتى ألقى الله الإسلام في قلبه، فجاء إلى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ابسط يدك فلأبايعك على الإسلام، وكان النّبيّ ﷺ أحسن الناس خلقًا، فمدّ يده ولكن عمرو بن العاص كفّ يده، كفّ يده ليس استكباراً، ولكن استثباتًا لما سيذكره، فقال له: «**ما لك؟**» قال: يا رسول الله، إني أشترط - يعني على الإسلام - قال: «**ماذا تشترط**» قال: أشترط أن يغفر لي.

هذا أكبر همه رضي الله عنه، يشترط أن الله يغفر له، ظنّ أن الله لن يغفر له لما كان له من سابقة في محاربة الدين، فقال له النبيّ ﷺ: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله**» ثلاثة أشياء.

أما الإسلام فإنه يهدم ما كان قبله بنص الكتاب العزيز، قال الله عز وجل: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾** ﴾ [الأنفال: ٣٨].

والهجرة: إذا هاجر الإنسان من بلده التي كان يعيش فيها، وهي بلد كفر، هدمت ما قبلها، والحج يهدم ما قبله؛ لقول النّبيّ ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» (١).

فبايع رضي الله عنه وأحب النّبيّ ﷺ حبًا شديداً، حتى كان أحب الناس إليه، وحتى أنه لا يستطيع أن يحدّ النظر فيه إجلالاً له عليه الصلاة والسلام، سبحان مقلب

(١) أخرجه البخاري (١٥٢١) ومسلم (١٣٥٠).

القلوب! بالأمس كان يُبغضه بغضًا شديدًا، حتى يتمنى أنه يقدر عليه فيقتله، والآن ما يستطيع أن يرفع طرفه إليه إجلالاً له، ولا يستطيع أن يصفه؛ لأنه لا يحيط به، حيث أنه لم يدركه، إدراكًا جيدًا؛ مهابةً له ﷺ.

يقول رضي الله عنه: إنه لو مات على الطبق الأول لكان من أهل النار، يقول: ولو متُّ على تلك الحال يعني الطبق الثاني لرجوتُ أن أكون من أهل الجنة. انظر الاحتياط فقد جزم أنه لو مات على الحال الأولى لكان من أهل النار، أما الحال الثانية فإنه لشدة خوفه قال: لو متُّ على هذه الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ولم يقل: لكنت من أهل الجنة؛ لأن الشهادة بالجنة أمرها صعب، نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها.

ثم إنه بعد ذلك تولى أمورًا رضي الله عنه، تولى إمارات وقيادات، وحصل ما حصل في قصة حرب معاوية وغيره، وكان عمرو بن العاص معروفًا أنه من أدهى العرب وأذكى العرب، فيقول: أخشى من هذا الذي حدث به بعد الطبق الأوسط أن يكون أحاط بعمله.

ثم أوصى رضي الله عنه أنه إذا مات فلا تتبعه نائحة، والنائحة: هي المرأة التي تنوح على الميت وتبكي عليه بكاء يُشبه نوح الحمام، وأمر رضي الله عنه إذا دفنوه أن يبقوا عند قبره قدر ما تنحر جزور ويُقسم لحمها، حتى يُراجع رسل ربه، وهم الملائكة الذين يأتون إلى الميت إذا دفن.

إذا دفن الميت فإنه يأتيه ملكان ويجلسانه في قبره ويسألانه ثلاثة أسئلة، يقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ أما المؤمن الذي ثبته الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة – جعلنا الله منهم بمنّه وكرمه – فيقول ربّيَ الله، وديني الإسلام، ونبيي محمدًا ﷺ، يُثبته الله في هذا المقام الضنك.

وأما المنافق – والعياذ بالله – أو المرتاب الذي عنده الشك، فيقول: ها ها لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته؛ لأن الإيمان ما دخل إلى قلبه، ولا وقر

في قلبه، فهو يسمع ويقول، لكن - نسأل الله العافية - لم يلج الإيمان قلبه، فيضرب بمرزبة، والمرزبة: هي المطرقة العظيمة من الحديد، يضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلاّ الثقلين.

وقال النّبيّ ﷺ: «**ولو سمعها الإنسان لصعق**» لو يسمع الناس من يعذب في قبره لصعقوا؛ لأنه يصيح صيحة لا نظير لها في الدنيا؛ لأن الصياح في الدنيا مهما كان لا يموت منه أحد، لكن هذه صيحة عظيمة ليس لها نظير، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان لو سمعها لصُعق.

فأمر عمرو بن العاص رضي الله عنه أهله أن يُقيموا عليه قدر ما تنحر الجزور ويُقسم لحمها ليستأنس بهم، وهذا يدل على أن الميت يحسّ بأهله، وقد ثبت عن النّبيّ ﷺ أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا من دفنه [١]. قرع النعال الخفيّ الميت يسمعه إذا انصرف الناس من دفنه.

وقد ثبت عن النّبيّ ﷺ في حديثٍ حسن أنه كان إذا دُفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**» [٢] فيستحب إذا دُفن الميت أن يقف الإنسان على قبره ويقول: اللهم ثبته، اللهم ثبته، اللهم ثبته، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له؛ لأن النّبيّ ﷺ كان إذا سلّم سلم ثلاثًا، وإذا دعا دعا ثلاثًا.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

المهم أن ابن عمرو بن العاص قال له: بشّرك النّبيّ ﷺ بالجنة، وهذا من باب البشارة بالخير والتهنئة به.

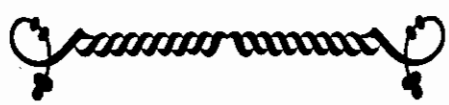

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠).
(٢) أخرجه مسلم (٩٥١) وأبو داود (٣٢٢١).

## فضل مصعب بن عمير رضي الله عنه

وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله تعالى، فوقع أجرنا على الله، فمنّا من مات ولم يأكل من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه قُتل يوم أُحُد وترك نمرة، فكنّا إذا غطّينا بها رأسه، بدت رجلاه، وإذا غطّينا بها رجليه، بدا رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نُغطي رأسه، ونجعل على رجليه شيء من الإذخر، ومنّا من أينعت له ثمرته، فهو يهدِبها»[1].

هذه الأحاديث كلها تدور على الحثّ على الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، فمنها حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه في قصة مصعب بن عمير، وهو من المهاجرين الذين هاجروا لله عز وجل؛ ابتغاء وجهه، وكان شابًا مدللاً من قِبَل والديه في مكة، ولما أسلم طرده أبواه؛ لأنهما كانا كافرين، فهاجر رضي الله عنه وقُتل في أُحُد في السنة الثالثة من الهجرة، فلم يمضِ على هجرته إلاّ ثلاثة أعوام أو أقل، فقُتل شهيداً رضي الله عنه، وكان صاحب الراية، ولم يكن معه شيء إلاّ بردة، ثوب واحد، إن غطُّوا به رأسه بدت رجلاه، وإن غطوا به رجلاه بدا رأسه، فأمر النبيُّ ﷺ أن يُغطى رأسه، ويجعل شيء من الإذخر وهو نبات معروف تأكله البهائم، فأمر النّبيّ ﷺ أن يجعل على رجليه لأجل أن يغطيهما.

قال: «ومنّا» يعني: المهاجرين «من أينعت له ثمرته» أينعت: يعني استوت ثمرته «فهو يهدِبها» أي: يجنيها ويقطفها ويتمتع بها، ويقول ذلك شوقًا إلى العهد الأول، وإلى ما كانوا عليه من زهد قبل أن تفتح عليهم الدنيا فيشتغل بها البعض.

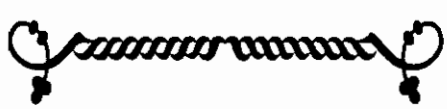

(١) أخرجه البخاري (١٢٧٦) ومسلم (٩٤١).

## فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه

وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك**»، فقال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعنّ في دُبُر كل صلاة تقول: اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(١).

أما حديث معاذ فإن النّبيّ ﷺ قال له: «**إني أحبك**» وأقسم قال: «**والله إني لأحبك**» وهذه منقبة عظيمة معاذ بن جبل رضي الله عنه أن نبينا ﷺ أقسم أنه يحبه، والمحب لا يدخر لحبيبه إلاّ ما هو خير له، وإنما قال هذا له لأجل أن يكون مستعداً لما يُلقى إلي؛ لأنه يلقيه إليه من محب، ثم قال له: «**لا تدعنّ أن تقول دُبر كل صلاة مكتوبة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» ودُبُر كل صلاة يعني في آخر الصلاة قبل السلام.

هكذا جاء في بعض الروايات أنه يقولها قبل السلام، وهو حق، وكما ذكرنا أن المقيد بالدبر، أي: دبر الصلاة إن كان دعاء فهو قبل التسليم، وإن كان ذكراً فهو بعد التسليم، ويدل لهذه القاعدة أن رسول الله ﷺ قال في حديث ابن مسعود في التشهد لما ذكره، قال: ثم ليتخير الدعاء ما شاء، أو ما أحب أو أعجبه إليه، أما الذكر، فقال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ**﴾ [النساء: ١٠٣].

«**أعنّي على ذكرك**» يعني كل قول يُقرب إلى الله، كل شيء يقرب إلى الله، كل تفكير يقرب إلى الله فهو من ذكر الله، «**وشكرك**» أي شكر النعم واندفاع النقم، فكم من نعمة لله علينا، وكم من نقمة اندفعت عنّا، فنشكر الله على ذلك، ونسأل الله أن يُعيننا عليه، و«**على حسن عبادتك**» وحسن العبادة يكون بأمرين، بالإخلاص لله عز وجل، كلما قوي الإخلاص كان أحسن، وبالمتابعة لرسول الله ﷺ. والله الموفق.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٢٢) والنسائي (٣/٥٣) وصححه الالباني في صحيح أبي داود (١٢٤٧).

# فضل أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه

## وأم سليم رضي الله عنها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النّبيّ ﷺ فقال: إني مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلاّ ماء، ثم أرسل إلى الأخرى، فقالت: مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق، ما عندي إلاّ ماء. فقال النّبيّ ﷺ: «**من يُضيف هذا الليلة؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ.

وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا إلاّ قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، وإذا أرادوا العشاء فنوميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنّا ناكل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين، فلما أصبح، غدا على النّبيّ ﷺ فقال: «**لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**»[1].

هذا الحديث العظيم العجيب، الذي يُبيّن حال رسول الله ﷺ وأصحابه حيث جاءه رجل فقال: «يا رسول الله، إني مجهود» يعني مجهد من الفقر والجوع، وهو ضيف على رسول الله ﷺ، فأرسل النّبيّ ﷺ إلى زوجاته واحدة تلو الأخرى يسألها هل عندها شيء، فكانت كل واحدة تقول: «لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلاّ الماء».

تسعة أبيات للرسول ﷺ ليس فيها إلاّ الماء، مع أن النّبيّ ﷺ لو شاء أن يسير الله الجبال معه لسارت، لكنه ﷺ كان أزهد الناس في الدنيا، كل بيوته التسعة ليس فيها شيء إلاّ الماء، فقال النّبيّ ﷺ: «**من يُضيف هذا الليلة؟**» يعني هذا الضيف. فقال رجل من الأنصار: «أنا يا رسول الله» أنا أُضيفه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٩) ومسلم (٢٠٥٤).

فذهب الرجل إلى رحله، وقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا طعام صبياني. يعني ليس عندها في البيت إلاّ العشاء لهم تلك الليلة فقط، فقال: «أكرمي ضيف رسول الله ﷺ» وأمرها أن تشغل أولادها وتلهيهم.

حتى إذا جاء وقت الطعام نوميهم، فأطفأت المصباح، وأرت الضيف أنهم يأكلون معه، ففعلت، هدّأت الصبيان وعللتهم ونومتهم، فناموا على غير عشاء، ثم إن العشاء لما قدم أطفأت المصباح وأرت الضيف أنها تأكل هي وزوجها، وهما لا يأكلان، فشبع الضيف وباتا طاويين، يعني غير متعشين؛ إكرامًا لضيف الرسول ﷺ.

ثم إنه أصبح فغدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره الرسول لله أن الله قد عجب من صنيعهما تلك الليلة، والعجب هنا عجب استحسان، استحسن عز وجل صنيعهما تلك الليلة.

**ففي هذا الحديث من الفوائد ما يلي:**

**أولاً** - بيان حال رسول الله ﷺ وما كان عليه من شظف العيش وقلة ذات اليد، مع أنه عليه الصلاة والسلام أكرم الخلق على الله، ولو كانت الدنيا تساوي عند الله شيئًا، لكان أبر الناس بها وأحقهم رسول الله ﷺ، ولكنها لا تساوي شيئًا.

قال ابن القيم - رحمه الله - :

لو ساوت الدنيا جناح بعوضة ... لم يسقِ منها الرب ذا الكفران

لكنها والله أحقر عنده ... من ذا الجناح القاصر الطيران

أحقر من جناح البعوضة عند الله، فليست بشيء.

**ثانيًا** - حسن أدب الصحابة مع النبيّ ﷺ، فإن هذا الأنصاري رضي الله عنه قال لزوجته: «أكرمي ضيف رسول الله ﷺ» فلم يقل: أكرمي ضيفنا. مع أن الذي أضافه هو في الحقيقة هو هذا الرجل، لكنه أضافه نيابة عن الرسول ﷺ فجعله ضيفًا لرسول الله ﷺ.

**ثالثًا** - أنه يجوز عرض الضيافة على الناس، ولا يُعد هذا من المسألة المذمومة، أولاً لأنه لم يعيّن، فلم يقل: يا فلان، ضيّف هذا الرجل حتى نقول إنه أحرجه، وإنما هو على سبيل العموم، فيجوز للإنسان مثلاً إذا نزل به ضيف وكان مشغولاً، أو ليس عنده ما يُضيفه به، أن يقول لمن حوله، من يضيف هذا الرجل؟ ولا حرج في ذلك.

**رابعًا** - الإيثار العظيم من هذا الرجل الأنصاري، حيث بات هو وزوجته وصبيته من غير عشاء إكرامًا لهذا الضيف الذي نزل ضيفًا على رسول الله ﷺ.

**خامسًا** - ومن هذه الفوائد أنه ينبغي للإنسان ألا يشعر ضيفه أنه مانّ عليه أو أن الضيف مضيّق عليه، ومُحرج له؛ لأن الرجل أمر بإطفاء المصباح حتى لا يظن الضيف أنه ضيّق عليه، وحرمهم من العشاء، وهذا مأخوذ من أدب الخليل إبراهيم عليه السلام، حين نزلت به الملائكة ضيوفًا ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الذاريات: ٢٦]، مشوي لكنه راغ إلى أهله، أي ذهب بسرعة، وخفية؛ لئلا يخجل الضيف.

**سادسًا** - ومن فوائد هذا الحديث: أنه يجوز للإنسان أن يُؤثر الضيف ونحوه على عائلته، وهذا في الأحوال النادرة العارضة، وإلا فقد قال النّبيّ ﷺ: «**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول**»[1] ولكن إذا عرضت مثل هذه الأحوال فلا حرج على الإنسان أن يقدم الضيف أو نحوه ممن يجب عليه إكرامه.

ومن تأمل الرسول ﷺ وهديه وهدي أصحابه وجد فيها من مكارم الأخلاق ومعالي الآداب ما لو سار الناس عليه لنالوا بذلك رفعة في الدنيا والآخرة، وفّقنا الله وإياكم لما فيه الخير في الدنيا والآخرة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان ابنٌ لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي، فخرج أبو طلحة، فقُبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم وهي أم

(١) أخرجه مسلم (٩٧٧) والنسائي (٢٥٤٦).

الصبي: هو أسكن ما كان، فقربت إليه الغشاء، فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله فأخبره، فقال: «**أعرستم الليلة؟**» قال: نعم، قال: «**اللهم بارك لهما**» فولدت غلامًا، فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النّبيّ ﷺ وبعث معه بتمرات، فقال: «**أمعه شيء؟**» قال: نعم، تمرات فأخذها النّبيّ ﷺ فمضغها، ثم أخذها من فيه، فجعلها في في الصبيّ، ثم حنّكه، وسماه عبد الله (١).

وفي رواية للبخاري: قال ابن عيينه: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرؤوا القرآن، يعني من أولاد عبد الله المولود (٢).

وفي رواية لمسلم: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه كتى أكون أنا أحدثه، فجاء فقربت إليه العشاء، فأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، فقالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب، ثم قال: تركتيني حتى إذا تلطخت، ثم أخبرتيني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله في ليلتكما**» قال: فحملت، قال: وكان رسول الله ﷺ في سفر، وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقًا فدنوا من المدينة فضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ.

قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى.

تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنت أجد، انطلق فانطلقنا،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧٠) ومسلم (٢١٤٤).

(٢) البخاري (١٣٠١).

وضربها المخاض حين قدما، فولدت غلامًا، فقالت لي أمي: يا أنس، لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ (١).

حديث أنس بن مالك عن أبي طلحة أنه كان له ابن يشتكي يعني مريضًا، وأبو طلحة كان زوج أم أنس بن مالك رضي الله عنه وكان هذا الصبي يشتكي، فخرج أبو طلحة لبعض حاجاته، فقُبض الصبي، يعني مات.

فلما رجع سأل أمه عنه فقال: كيف ابني، قالت: «هو أسكن ما يكون» وصدقت في قولها هو أسكن ما يكون؛ لأنه مات ولا سكون أعظم من الموت.

وأبو طلحة رضي الله عنه فهم أنه أسكن ما يكون من المرض وأنه في عافية فقدمت له العشاء، فتعشى على أن ابنه برئ وطيب، ثم أصاب منها يعني جامعها، فلما انتهى قالت له: «واروا الصبيّ» أي: ادفنوا الصبيّ فإنه قد مات، فلما أصبح أبو طلحة رضي الله عنه ووارى الصبيّ وعلم بذلك الرسول ﷺ.

فسأل: **«هل أعرستم الليلة؟»** قال: نعم، فدعا لهما بالبركة. **«اللهم بارك لهما في ليلتهما»** فولدت غلامًا سمّاه عبد الله، وكان لهذا الولد تسعة أولاد كلهم يقرؤون القرآن ببركة دعاء الرسول ﷺ.

ففي هذا الحديث: دليل على قوة صبر أم سليم رضي الله عنها وأن ابنها الذي مات بلغ بها الحال إلى أن تقول لزوجها هذا القول وتواري هذه التورية، وقدّمت له العشاء ونال منها، ثم قالت: ادفنوا الولد.

وفي هذا دليل على جواز التورية، يعني أن يتكلم الإنسان بكلام تُخالف نيته ما في ظاهر هذا الكلام، فله ظاهر هو المتبادر إلى ذهن المخاطب، وله معنى آخر مرجوح لكن هو المراد في نية المتكلم فيظهر خلاف ما يُريد.

وهذا جائز، ولكنه لا ينبغي إلاّ للحاجة إذا احتاج الإنسان إليه لمصلحة أو دفع

---

(١) رواه مسلم (٢١٤٤).

مضرة فليوارِ، وأما مع عدم الحاجة فلا ينبغي أن يواري؛ لأنه إذا وارى وظهر الأمر على خلاف ما يظنه المخاطب نُسب هذا المُواري إلى الكذب، وأساء الظن به لكن إذا دعت الحاجة فلا بأس.

**ومن التورية المفيدة التي يحتاج إليها الإنسان:** لو أن شخصًا ظالمًا يأخذ أموال الناس بغير حق وأودع إنسان عندك مالاً قال: هذا مالي عندك وديعة أخشى أن طلع عليه هذا الظالم فيأخذه، فجاء الظالم إليك وسألك هل عندك مال فلان، فقلت والله ما عندي شيء.

فالمخاطب يظن أن هذا نفي وأن المعنى ما عندي له شيء، لكن أنت تنوي بـ(ما) الذي، أي: الذي عندي له شيء، فيكون هذا الكلام مثبتًا لا منفيًا، هذا من التورية المباحة، بل المطلوبة، إذا دعت الحاجة إليها.

**وفي هذا الحديث:** الرسول ﷺ لما جاء أنس بن مالك بأخيه من أمه ابن أبي طلحة جاء به إلى النبيّ ﷺ ومعه تمرات فأخذه النبيّ ﷺ ومضغ التمرات ثم جعلها في فيّ الصبيّ أي أدخلها في فمه وحنكه أي أدخل أصبعه وداره في حنكه؛ وذلك تبركًا بريق الرسول ﷺ؛ ليكون أول ما يصل إلى بطن هذا الصبي ريق الرسول ﷺ، وكان الصحابة يفعلون هذا إذا وُلد لهم أولاد بنين وبنات جاءوا بهم إلى رسول الله ﷺ وجاءوا بالتمرات معهم من أجل أن يحنكه.

وهذا التحنيك هل هو لبركة ريق الرسول ﷺ أو من أجل أن يصل التمر إلى معدة الصبي، قبل كل شيء؟ إن قلنا بالأول صار التحنيك من خصائص الرسول ﷺ فلا يحنك أحد صبيًا؛ لأنه لا أحد يتبرك بريقه وعرقه إلا رسول الله ﷺ.

وإن قلنا بالثاني: إنه من أجل التمرات يكون هو أول ما يصل إلى معدة الصبي؛ لأنه يكون لها بمنزلة الدباغ فإننا نقول كل مولود يحنك.

وفي هذا الحديث: آية من آيات الله عز وجل، حيث دعا لهذا الصبي، فبارك الله فيه، وفي عقبه، وكان له كما ذكرنا تسعة من الولد كلهم يقرؤون القرآن ببركة دعاء الرسول ﷺ.

وفيه أنه يستحب التسمية بعبد الله، فإن التسمية به وبعبد الرحمن أفضل ما يكون، قال النّبيّ ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن**»(١).

وأما ما يُروى أن «**خير الأسماء ما حُمّد وما عُبّد**»(٢) فلا أصل له، وليس حديثًا عن رسول الله ﷺ، والحديث الصحيح: «**أحب الأسماء إلى الله عبد الرحمن وعبد الله، وأصدقها حارث وهمام**»(٣) لأنها مطابقة للواقع، كل واحد من بني آدم فهو حارث يعمل، وكل واحد من بني آدم فهو همام يهم وينوي ويقصد وله إرادة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٦﴾ [الإنشقاق: ٦]، كل إنسان يعمل؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار لأبنائه وبناته أحسن الأسماء؛ لينال بذلك الأجر، وليكون محسنًا لأبنائه وبناته.

أما أن يأتي بأسماء غريبة على المجتمع؛ فإن هذا قد يوجب مضايقات نفسية للأبناء والبنات في المستقبل، ويكون كل همّ ينال الولد من هذا الاسم فعليك إثمه ووباله؛ لأنك أنت المتسبب لمضايقته بهذا الاسم الغريب الذي يشار إليه، ويُقال: انظر إلى هذا الاسم، انظر إلى هذا الاسم!!؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار أحسن الأسماء.

ويحرم أن يسمى الإنسان أسماء من خصائص أسماء الكفار، مثل: چورچ.. وما أشبه ذلك، من الأسماء التي يتلقب بها الكفار؛ لأن هذا من باب التشبه بهم وقد قال النّبيّ ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(٤).

ويجب علينا نحن المسلمين أن نكره الكفار كرهًا عظيمًا وأن نعاديهم، وأن نعلم أنهم أعداء لنا مهما تزيّنوا لنا وتقرّبوا لنا؛ فهم أعداؤنا حقًا، وأعداء الله عز

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٢) وأبو داود (٤٩٤٩) والترمذي (٢٨٣٤) وابن ماجه (٣٧٢٨).
(٢) انظر كشف الخفا (١/٤٦٧).
(٣) صحيح، أخرجه أحمد (٣٤٧) وأبو داود (٤٩٥) وصححه الألباني.
(٤) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٠٣١) وأحمد (٢/٥٠) وصححه الألباني.

وجل، وأعداء الملائكة وأعداء الأنبياء وأعداء الصالحين، فهم أعداء ولو تلبسوا بالصداقة أو زعموا أنهم أصدقاء، فإنهم والله هم الأعداء، فيجب أن نعاديهم ولا نفرق بين الكفار الذين لهم شأن وقيمة في العالم والكفار الذين ليس لهم شأن! حتى الخدم والخادمات يجب أن نكره في بلدنا خادم أو خادمة من غير المسلمين، لاسيما وأن نبينا محمداً رسول الله ﷺ يقول: «**أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب**»(١) ويقول: «**لأخرجنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلاّ مسلمًا**»(٢).

ويقول في مرض موته، في آخر حياته وهو يودع الأمة: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**».

وبعض الناس الآن يُخير بين عامل مسلم وعامل كافر فيختار الكافر، نسأل الله العافية، قلوب زائغة ضالة، ليست إلى الحق مائلة، يُزين لهم الشيطان أعمالهم يقولون كذبًا وزورًا وبهتانًا: إن الكافر أخلص في عمله من المسلم!! أعوذ بالله!، يقولون: إن الكافر لا يُصلي، بل يشغل وقته في العمل في وقت الصلاة، ولا يطلب الذهاب إلى العمرة أو الحج، ولا يصوم، هو دائمًا في عمل.

ولا يهم هذا الشيء مع أن خالق الأرض والسماوات يقول: ﴿**وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة: ٢٢١]، فيجب عليكم أيها الإخوة يا من استمعتم إلى قولنا هذا أن تناصحوا إخوانكم الذين اغتروا وزين لهم الشيطان جلب الكفار إلى بلادنا خدمًا وعمالاً وما أشبه ذلك، يجب أن يعلموا أن في ذلك إعانة كبيرة للكفار على المسلمين؛ لأن هؤلاء الكفار يؤدون ضرائب الحكومة لتقويتها على المسلمين.

والشواهد على هذا كثيرة فالواجب علينا أن نتجنب الكفار بقدر ما نستطيع

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣١) ومسلم (١٦٣٧) بلفظ: «أخرجوا المشركين..».

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٧) أبو داود (٣٠٣٠) والترمذي (١٦٠٧).

فلا نتسمى بأسمائهم ولا نوادهم ولا نحترمهم، ولا نبدأهم بالسلام ولا نفسح لهم الطريق؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه**»(١).

أين نحن من هذه التعليمات؟! أين نحن من كلام الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى؟ لماذا لا نحذر إذا كثر فينا الخبث من الهلاك؟ استيقظ النّبيّ ﷺ ذات ليلة محمرًا وجهه فقال: «**لا إله إلاّ الله، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب**» - إنذار وتحذير، «**ويلٌ للعرب**»: حملة لواء الإسلام «**من شر قد اقترب**» - «**فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وقال بأصبعه والسبابة، قالت زينب: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»(٢).

الخبث العملي والخبث البشري! إذا كثر الخبث في أعمالنا فنحن عرضة للهلاك، إذا كثر البشر النجس في بلادنا فنحن عرضة للهلاك والواقع شاهد بهذا، نسأل الله أن يحمي بلادنا من أعدائنا الظاهرين والباطنين، وأن يكبت المنافقين والكفار ويجعل كيدهم في نحورهم إنه جوادٌ كريم.

قوله: «أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، ثم طلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، فقالت: فاحتسب عند الله ابنك».

يعني أن الأولاد عندنا عارية، وهم ملك لله عز وجل متى شاء أخذهم، فضربت له هذا المثل من أجل أن يقتنع، ويحتسب الأجر على الله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على ذكائها رضي الله عنها وعلى أنها امرأة عاقلة صابرة محتسبة، و إلاّ فإن الأم كالأب ينالها من الحزن على ولدها مثل ما ينال الأب، وربما تكون أشد حزنًا لضعفها وعدم صبرها.

وفي هذا الحديث: بركة دعاء النّبيّ ﷺ حيث إنه كان له تسعة من الولد كلهم يقرؤون القرآن.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٧) والترمذي (١٦٠٢) (٢٧٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠).

وفيه: كرامة لأبي طلحة ﷺ لأن أبا طلحة كان قد خرج مع النّبيّ ﷺ في سفر وكانت معه أم سليم بعد أن حملت، فلما رجع النّبيّ ﷺ أتاها المخاض أي جاءها الطلق، قبل أن يصلوا إلى المدينة، وكان الرسول ﷺ: «لا يحب أن يطرق أهله طروقًا» أي لا يحب أن يدخل عليهم ليلاً دون أن يخبرهم بالقدوم. فدعا أبو طلحة ﷺ ربه وقال: اللهم إنك تعلم أنني أحب أن لا يخرج النبيّ ﷺ مخرجًا إلاّ وأنا معه، وقد أصابني ما ترى يناجي ربه سبحانه وتعالى، تقول أم سليم: «فما وجدت الذي كنت وجدته من قبل» يعني هان عليها الطلق، ولا كأنها تطلق.

قالت أم سليم لزوجها أبي طلحة: انطلق، فانطلق، ودخل المدينة مع رسول الله ﷺ، ولما وصلوا إلى المدين وضعت، ففي هذا كرامة لأبي طلحة ﷺ حيث خفف الله الطلق على امرأته بدعائه، ثم لما وضعت قالت أم سليم لابنها أنس بن مالك وهو أخو هذا الحمل الذي ولد من أمه.

قالت: احتمله إلى رسول الله ﷺ، أي: اذهب به كما هي عادة أهل المدينة إذا ولد لهم ولد، يأتون به إلى رسول الله ﷺ ومعهم تمر فيأخذ الرسول ﷺ التمرة فيمضغها بفمه، ثم يحنك بها الصبي؛ **لأن في ذلك فائدتين:**

**الأولى** – بركة ريق النّبيّ ﷺ وكان الصحابة ﷺ يتبركون بريق النّبيّ ﷺ وبعرقه حتى إنه من عادتهم أنه إذا كان في الصباح وصلّوا الفجر أتوا بآنية فيها ماء، فغمس الرسول ﷺ يديه في الماء، وعرك يديه في الماء، فيأتي الصبيان بهذا الماء ثم ينطلقون به إلى أهليهم ويتبركون بأثر النّبيّ ﷺ (١).

وكان الصحابة ﷺ إذا توضأ النّبيّ ﷺ كادوا يقتتلون على وضوئه أي فضل الماء يتبركون به، وكذلك من عرقه وشعره، حتى كان عند أم سلمة – إحدى زوجات الرسول ﷺ وإحدى أمهات المؤمنين – عندها جلجل من فضة، أي مثل

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣١، ٢٣٣٢).

«الطابوق» فيه شعرات من شعرات النّبيّ ﷺ يستشفون بها، أي: يأتي بشعرتين أو ثلاث فيضعونها في الماء، ثم يحركونها من أجل أن يتبركون بهذا الماء، لكن هذا خاص بالنّبيّ ﷺ.

**الفائدة الثانية**: من التمر الذي كان يحنكه الصبيان أن التمر فيه خير وبركة وفيه فائدة للمعدة، فإذا كان أول ما يصيب الطفل مما يصل إلى معدته من التمر كان ذلك خيراً للمعدة، فحنّكه الرسول ﷺ ودعا له بالبركة.

والشاهد من هذا الحديث: أن أم سليم قالت لأبي طلحة: احتسب ابنك، أي اصبر على ما أصابك من فقده، واحتسب الأجر على الله. والله الموفق.

obeikandl.com

## فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «**لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»(١). وفي رواية لمسلم: أن رسول الله ﷺ قال له: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة**».

**هاتان مسألتان:**

المسألة الأولى – استحباب تحسين الصوت في قراءة القرآن، وتحسين الصوت ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: تحسين الأداء بحيث يبين الحروف ويخرجها من مخارجها حتى يبدو القرآن واضحًا بينًا، فلا يخفى ولا يحذف شيء من الحروف؛ لئلا ينقص شيء مما أنزله الله على رسوله ﷺ.

الثاني: تحسين النغمة بالصوت، يحسن به صوته، وكلاهما أمر مطلوب، ولكن الأمر الأول – تحسين الأداء – لا ينبغي المبالغة فيه والغلو فيه بحيث تجد الرجل يقرأ القرآن يتكلف ويحمر وجهه، ويتكلف في الغنة وفي الإدغام وفي مثل هذا فإن من إقامة الحروف المتكلفة، ولكن لتكن قراءته طبيعية يبين فيها الحروف والحركات هذا هو المطلوب، وأما الغلو والمبالغة فإنهما ليسا مطلوبين، وبه نعلم أن تعلم التجويد ليس بواجب؛ لأنه يعود إلى تحسين الصوت بدون غلو ولا مبالغة، فهو من الأمور المستحبة التي يتوصل بها الإنسان إلى شيء مستحب لا إلى شيء واجب.

وأما القسم الثاني: هو تحسين الصوت فقد يقول قائل: حسن الصوت ليس باختيار الإنسان؛ لأن الله تعالى هو الذي يمنّ على من يشاء من عباده، فيعطيه حنجرة قويّة، وصوتًا طيبًا، فيُقال: نعم، الأمر كذلك، لكن يحسن الإنسان الصوت بالتعلم؛ لأن حسن الصوت غريزي ومكتسب، فلا يزال يقرأ بصوت حسن.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨) ومسلم (٧٩٣).

ثم إن حديث أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وهو عبد الله بن قيس أحد خطباء النّبيّ ﷺ، وأن النّبيّ ﷺ استمع إلى قراءته ذات ليلة فأعجبته، فقال النّبيّ ﷺ لأبي موسى: «**لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**» وآل داود يعني به داود عليه السلام، وكان عنده صوت جميل حسن رفيع، حتى قال الله تعالى: ﴿**يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ** ﴿١٠﴾﴾ [سبأ: ١٠]، فكانت الجبال ترجع مع داود وهو يتلو الزبور لحسن صوته، تجاوبه جبال أحجار جامدة، وكذلك الطير تؤوب معه - سبحان الله - تأتي فإذا سمعت قراءته تجمعت في جو السماء وجعلت ترجع معه، فكانت الجبال والطيور إذا سمعت قراءة داود للزبور قامت ترجع معه؛ ولهذا قال النّبيّ ﷺ لأبي موسى: «**لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**» يعني صوتًا حسنًا كصوت آل داود.

يقول أبو موسى لما قال له الرسول ﷺ: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة**» - قال: لو علمت أنك تستمع - أو قال تسمع - لحبرته لك تحبيراً. يعني يزينه أحسن مما كان.

قال العلماء: وفي هذا دليل على أن الإنسان لو حسّن صوته بالقرآن لأجل أن يتلذذ السامع ويُسر به، فإن ذلك لا بأس به، ولا يعد من الرياء، بل هذا مما يدعو إلى الاستماع لكلام الله عز وجل، حتى يُسر الناس به؛ ولهذا يوجد بعض الناس إذا ضاق صدره استمع إلى قراءة إنسان حسن القراءة حسن الصوت، وهذه متيسرة الآن في أشرطة لبعض القراء الذين لا يتكلفون القراءة، وأصواتهم حسنة وأداؤهم حسن، إذا استمع الإنسان إليهم لا يكاد يمل؛ لأن كلام الله له تأثير إذا جاء من إنسان حسن الصوت وحسن الأداء لا يمل.

ويُستفاد من هذا: أنه ينبغي للإنسان أن يقرأ القرآن على أكمل ما يمكنه أن يقرأه عليه من حسن صوت وحسن أداء، ونسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن يقيم حروفه وحدوده، حتى يكون حجة لنا لا علينا.

## عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

هو ابن عم رسول الله ﷺ، وُلِدَ قبل الهجرة بثلاث سنين، لازم النّبيّ ﷺ؛ لأنه ابن عمه، وخالته ميمونة تحت النّبيّ ﷺ وضمه النّبيّ ﷺ إلى صدره، وقال: «**اللهم علمه الحكمة**» وفي رواية «**الكتاب**» (١)، وقال له: حين وضع له وضوءه: «**اللهم فقهه في الدين**» (٢) فكان بهذا الدعاء المبارك حبر الأمة في نشر التفسير والفقه حيث وفقه الله تعالى للحرص على العلم والجد في طلبه والصبر على تلقيه وبذله، فنال بذلك مكانًا عاليًا حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدعوه إلى مجالسه، ويأخذ بقوله، فقال المهاجرون: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟! فقال لهم: «ذاكم فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول» ثم دعاهم ذات يوم فأدخله معهم ليريهم منه ما رآه، فقال عمر: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ [النصر]، حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا، وسكت بعضهم، فقال عمر لابن عباس: أكذلك تقول؟ قال: لا. قال: فما تقول؟ قال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم (٣).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لنعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منّا أحد» (٤) أي ما كان نظيراً له هذا مع أن ابن عباس عاش بعده ستًا وثلاثين سنة، فما ظنك بما اكتسب بعده من العلم، وقال ابن عمر لسائل سأله عن آية: انطلق إلى ابن عباس، فاسأله فإنه أعلم من بقي بما أُنزل على محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥، ٣٧٥٦)، (٧٢٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧).
(٣) رواه البخاري (٣٦٢٧) (٤٢٩٤).
(٤) صحيح، ابن أبي شيبة (٧/٥١٩).

وقال عطاء: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس فقهًا، وأعظم خشية إن أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع، وقال أبو وائل: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم (أي دال على موسم الحج من عثمان رضي الله عنه) فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويُفسر فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ولو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت [1] ولاه عثمان على موسم الحج سنة خمس وثلاثين وولاه على البصرة فلما قُتل مضى إلى الحجاز فأقام في مكة، ثم خرج منها إلى الطائف فمات فيها سنة ثمانية وستين عن إحدى وسبعين سنة.

(١) الحاكم (٣/٥٣٧) بإسناد صحيح.

# عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي وأمه أم عبد كان ينسب إليها أحيانًا، وكان من السابقين الأولين في الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد، تلقى من النبيّ ﷺ بضعًا وسبعين سورة من القرآن، وقال له النبيّ ﷺ في أول الإسلام: «**إنك لغلام مُعلَّم**» [١] وقال: «**من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**» [٢] .

وفي صحيح البخاري [٣] أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله**».

وقال: «**والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلاّ وأنا أعلم أين نزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلاّ وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه**» [٤] .

وكان ممن خدم النّبيّ ﷺ، فكان صاحب نعليه وطهوره، ووسادة، حتى قال أبو موسى الأشعري: «**قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينًا ما نرى إلاّ أن عبد الله بن مسعود رجلاً من أهل بيت النّبيّ ﷺ**» [٥].

ومن أجل ملازمته النّبيّ ﷺ تأثر به وبهديه، حتى قال فيه حذيفة «**ما أعرف أحدًا أقرب هديًا وسمتًا ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد**» [٦] .

(١) حسن، أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩ - ٤٦٢) وابن أبي شيبة (٧/ ١٨٤) والطبراني في الكبير (٩/ ٧٨ - ٧٩) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٢٥) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٧١) وصحح الذهبي إسناده في السير (١/ ٤٦٥).

(٢) صحيح لشواهده، أخرجه أحمد (١/ ٤٤٥- ٤٥٤) وابن ماجه (١٣٨) وأحمد (١/ ٢٥، ٢٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣٠١) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٠٠) وكذا مسلم (٢٤٦٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٠٢) ومسلم (٢٤٦٣) .

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٦٣، ٤٣٨٤) ومسلم (٢٤٦٠) .

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٦٢) (٦٠٩٧).

بعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم وبعث عماراً أميراً وقال: إنهما من النجباء من أصحاب النّبيّ ﷺ فاقتدوا بهما، ثم أمره عثمان على الكوفة ثم عزله وأمره بالرجوع إلى المدينة، فتوفي فيها سنة اثنتين وثلاثين، ودُفن بالبقيع وهو ابن بضع وسبعين سنة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النّبيّ ﷺ: «**اقرأ عليّ القرآن**» فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «**إني أُحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت عليه سورة النساء، حتى جئت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] قال: «**حسبك الآن**» فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان [١].

هذه الأحاديث في بيان تحسين الصوت والقراءة في القرآن الكريم، فحديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنه صلى مع النّبيّ ﷺ صلاة العشاء، فقرأ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين]، قال: فما سمعت قراءةً أحسن من قراءته، أو قال: صوتًا أحسن من صوته، وكلاهما صحيح؛ فإن النّبيّ ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وهو أول وأولى من يدخل في قوله، فيما سبق من حديث: «**ما أذن الله لشيء إذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**» [٢] رسول الله ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وأحسن الناس أداء في القراءة؛ لأن القرآن عليه أنزل، والقرآن هو خلقه صلوات الله وسلامه عليه.

وفي هذا الحديث دليل على أن صلاة العشاء لا بأس أن يقرأ فيها بقصار المفصل؛ لأن سورة التين من قصار المفصل ولكن الأكثر أن يقرأ فيها من أوساطه؛ لأن النّبيّ ﷺ أمر معاذ بن جبل أن يقرأ فيها بـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى]، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية]، و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل]، و﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٢) ومسلم (٨٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٤٤) ومسلم (٧٩٢).

وما أشبه ذلك، وكذلك لا حرج أن قصار المفصل كالتين، وإذا زلزلت يمكن أن يقرأ بهما، وما أشبه ذلك، وكذلك أيضًا حثّ النّبيّ ﷺ على التغني بالقرآن، وقال: «**من لم يتغنَّ بالقرآن فليس منّا**»(١).

قال العلماء: وهذه الكلمة لها معنيان:

الأول – «**من لم يتغنَّ به**» أي: من يستغن به عن غيره بحيث يطلب الهدى من سواه فليس منّا، فهذا لا شك أن من طلب الهدى من غير القرآن أضله الله والعياذ بالله.

والمعنى الثاني – «**من لم يتغنَّ**» أي من لم يحسن صوته بالقرآن، فليس منّا، فيدل على أنه ينبغي للإنسان أن يُحسن صوته بالقرآن وأن يستغني به عن غيره.

وأما الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النّبيّ ﷺ طلب منه أن يقرأ عليه، فقال عبد الله بن مسعود: أأقرأ عليك وعليك أُنزل؟! فقال ﷺ: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» لأن الإنسان الذي يستمع قد يكون أقرب إلى تدبر القرآن من القارئ، فالقارئ تجده يركز على ألاّ يخطئ في القراءة، والمستمع يتدبر ويتأمل؛ ولهذا قيل: «القارئ حالب، والمستمع شارب»، يعني القارئ يحلب الناقة أو الشاة، والمستمع شارب فهو الذي يستفيد.

المهم أن النّبيّ ﷺ طلب من عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه فقال: أأقرأ عليك القرآن وعليك أُنزل؟ قال: «**إني أُحب أن أسمعه من غيري**» فقرأ بسورة النساء حتى إذا جاء إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، يعني: كيف تكون الحال؟ فقال ﷺ: «**حسبك الآن**» يقول: فالتفت فإذا عيناه تذرفان يبكي ﷺ أن يُؤتى به يوم القيامة شهيدًا على أمته؛ لأنه يؤتى يوم القيامة في كل أمة بشهيد، الأنبياء

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (١٤٧١)، وفي البخاري نحوه (٧٥٤٦).

شهداء، العلماء شهداء؛ لأن العلماء واسطة بين الرسل وبين الخلق، هم الذين يحملون شريعة الرسل إلى الخلق، فهم شهداء.

**فالعالم يشهد بأمرين:**

أمر أعلى، وأمر أسفل، الأمر الأعلى: يشهد بأن هذا حكم الله، والأمر الأسفل: يشهد بأنه قد بلغ الناس؛ لأن العالم يبلغ فمثلاً يقرأ آية، حديثًا، ويقول للناس: معناها كذا وكذا، اعملوا بها، فيشهد عليهم، فهو شاهد من طرفين: طرف أعلى وطرف أسفل، الطرف الأعلى أنه يشهد بأن هذا حكم الله بلغه للعباد، والأسفل: أنه يشهد أنه بلغ الناس به، فقامت عليهم الحجة، فيوم القيامة يُؤتى من كل أمة بشهيد، وأول من يشهد الرسل: نشهد أننا بلغنا رسالة ربنا إلى خلقه، ويُؤتى من هذه الأمة بـ« محمد » ﷺ يستشهده الله فيشهد أنه بلّغ، مع أن النّبيّ ﷺ استشهد ربه في أكبر مجمع للمسلمين في ذلك الوقت في يوم عرفة، لما خطب الناس الخطبة الطويلة العظيمة البليغة قال: **«ألا هل بلغت؟»** قالوا: نعم، قال: **«اللهم اشهد»**، قال: **«ألا هل بلغت؟»** قالوا: نعم، قال: **«اللهم اشهد»**، قال: **«ألا هل بلغت؟»** قالوا: نعم، قال: **«اللهم اشهد»** (١).

لما وصل إلى هذه الآية بكى ﷺ؛ لأنه تصور هذه الحال، تخيلها، حالاً عظيمة، كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، كل أمة تأتي على الركب من شدة الهول وعظمته ﴿كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨]؛ ولهذا قال في الآية الكريمة التي وقف عليها عبد الله بن مسعود: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢] يعني: يودون أنهم ما بُعثوا وما قُبضوا ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١) ومسلم (١٣٥٤).

كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء: ٤١، ٤٢]، يودون أنهم بقوا في الأرض، أو أن يكونوا ترابًا، ولكن لا ينفعهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾.

فالمهم أنه يجوز للإنسان أن يطلب من شخص قارئ أن يقرأ عليه، ولو كان هذا القارئ أقل منه علمًا؛ لأن بعض الناس يعطيه الله تعالى حسن الصوت، وحسن الأداء، وإن كان قليل العلم، فلا بأس أن تقول: يا فلان - جزاك الله خيرًا - اقرأ عليّ، إما أن تُعيّن له ما يقرأ، وإما أن تدع الأمر إليه، فتستمع، وفي هذا الحديث بركة القرآن أنه ينتفع به القارئ والمستمع، ولاشك أن القرآن أعظم الكتب بركة، وأفيدها، وأصلحها للقلب، وأرضاها للرب نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن الذين يعملون به ظاهرًا وباطنًا يموتون عليه ويحيون عليه، والله الموفق.

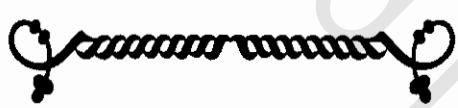

## فضل أبي بن كعب رضي الله عنه

وعن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قلت: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾، فضرب في صدري وقال: «**ليهنك العلم أبا المنذر**»(١).

حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن النّبيّ ﷺ سأله: أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: آية الكرسي، فضرب النّبيّ ﷺ على صدره، وقال: «**ليهنك العلم يا أبا المنذر**» يعني هنأه حيث علم أن أعظم آية في كتاب الله (آية الكرسي) لأن هذه الآية مشتملة على عشر صفات من صفات الله عز وجل: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ففي هذا إخلاص التوحيد لله عز وجل، ومعنى لا إله إلاّ هو، أي: لا معبود بحق إلاّ هو جل وعلا، فجميع المعبودات من دون الله معبودة بغير حق، حتى وإن سُمّيت آلهة فإنما هي أسماء سموها ما أنزل الله بها من سلطان.

﴿**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ يعني: الكامل في حياته وفي قيوميته، فهو الحي الكامل في حياته لم يسبق حياته عدم ولا يلحقها فناء؛ لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، قال الله عز وجل: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾**﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

قال بعض السلف: ينبغي لمن قرأ هذه الآية: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾**﴾ ألا يقف، بل يقول: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾**﴾.

﴿**كُلُّ مَنْ**﴾ لأجل أن يتبين في ذلك نقص المخلوقات وكمال الخالق جل وعلا، فهو سبحانه وتعالى الحي الكامل في حياته، كذلك حياته لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، وحياة غيره كلها نقص، انظر حياتك أنت: إن جئت بالسمع

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠) وابو داود (١٤٦٠).

فسمعك ناقص، لا تسمع كل شيء، البصر كذلك، الصحة كذلك، وما أكثر الأمراض التي تصيب الناس، وهكذا بقية أسباب الحياة ناقصة.

أما الرب عز وجل فهو كامل الحياة «القيوم» معناها القائم بنفسه على غيره، يعني معنى القائم بنفسه لا يحتاج لغيره ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، فهو غني.

وفي الحديث أنه جلّ وعلا يقول: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»(١) فهو قائم بنفسه لا يحتاج لأحد، قائم على غيره: كل من سواه، فإن القائم عليه هو الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٢] يعني: كمن لا يملك شيئًا، والقائم على كل نفس بما كسبت هو الله عز وجل إذًا (القيوم) له معنيان: القائم بنفسه، والقائم على غيره ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

السنة هي: النعاس، والنعاس هو مقدمة النوم، والنوم معروف، فالله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم، والإنسان تأخذه السِّنة ويأخذه النوم، اختار أم لم يختر، أحيانًا ينام الإنسان وهو يصلي، ينعس وهو يكلم الناس، لكن الله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم؛ لكمال حياته وكمال قيوميته، وفي الحديث الصحيح عن النّبيّ ﷺ أنه قال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**»(٢) يعني: مستحيل غاية الاستحالة أن ينام عز وجل؛ لأنه كامل الحياة كامل القيومية، من يقوم على الخلق لو نام الخالق؟! لا أحد؛ فهو جلّ وعلا لا تأخذه سنة ولا نوم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبيّ بن كعب رضي الله عنه: «**إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**» [البينة] قال: أسماني؟ قال: «**نعم**» فبكى أبيّ(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩) وابن ماجه (١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٥٩، ٤٩٦٠) ومسلم (٧٩٩).

في حديث أنس أن النّبيّ ﷺ قال لأُبيّ بن كعب : «**إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** [البينة] قال: أسماني لك؟ قال: «**نعم**» فبكى أبيّ.

لكن هذا البكاء يحتمل أن يكون شوقًا إلى الله تعالى؛ لأن أمر نبيه ﷺ أن يقرأ هذه السورة على أُبيّ تدل على رفعة أُبيّ بن كعب رضي الله عنه ويحتمل أن يكون ذلك من الفرح؛ فإن الإنسان ربما يبكي إذا فرح، كما أنه يبكي إذا حزن.

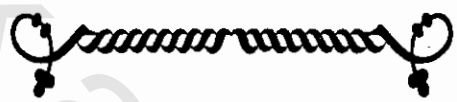

obeikandl.com

# فضل عاصم بن ثابت وخبيب

## وأصحابهما رضي الله عنهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط عينًا سرية، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهداة، بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يُقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مئة رجل رامٍ، فاقتصوا آثارهم، فلما أحسّ بهم عاصم وأصحابه؛ لجأوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم، فقالوا: انزلوا، فأعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً.

فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا فلا أنزل على ذمة كافر، اللهم أخبر عنّا نبيك ﷺ، فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب، وزيد بن الدثنة، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم، فربطوهم بها،قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لي بهؤلاء أسوة، يُريد القتلى، فجرّوه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر.

فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته، فدرج بني لها وهي غافلة، حتى أتاه، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، فوالله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده، وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلّ، قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه، فركع

ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدْتُ، اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تُبقِ منهم أحداً، وقال:

فلست أُبالي حين أُقتل مسلمًا ... على أيّ جنب كان في الله مصرعي
وذاك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

وكان خبيب هو أول من سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة، وأخبر النّبيُّ ﷺ أصحابه يوم أصيبوا خبرهم، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشيء منه يُعرف، وكان رجلاً من عظمائهم، فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسلهم فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئًا»(١).

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي قصة عاصم بن ثابت الأنصاري وصحبه، أرسلهم النّبيه ﷺ وهم عشرة عينًا سرية، عينًا يعني مثل الجواسيس للعدو، وسرية يعني أخفاهم عليه الصلاة والسلام، فلما وصلوا قرب مكة شعر بهم جماعة من هذيل، فخرجوا إليهم في نحو مئة رجل رامٍ، يعني يُجيدون الرمي، فاتبعوا آثارهم حتى أحاطوا بهم، ثم طلبوا منهم - أي هؤلاء الهذليون - أن ينزلوا بأمان وأعطوهم عهداً أن لا يقتلوهم، فأما عاصم فقال: والله لا أنزل على ذمة كافر، أي على عهده؛ لأن الكافر قد خان الله عز وجل، ومن خان الله خان عباد الله؛ ولهذا لما كتب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إليه أن عنده رجلاً نصرانيًا جيداً في المحاسبة، وطلب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يأذن له أن يوظف هذا النصراني على بيت المال؛ لأنه رجل جيد في الحساب، فكتب إليه عمر: «إنني لا آمن من خان الله ورسوله» لأن كل كافر فهو خائن ولا توله على بيت المال، فكتب إليه مرة ثانية (أبو موسى) قال: هذا الرجل قلما يوجد مثله في الحساب والجودة، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٥).

« بسم الله الرحمن الرحيم

من أمير المؤمنين عبد الله عمر بن الخطاب، مات النصراني ، والسلام » .

كلمة واحدة، جملة واحد، مات النصراني، يعني قدره أنه مات، هل إذا مات تتعطل المحاسبة عندنا في بيت المال، فقطع طمع أبي موسى رضي الله عنه .

المهم أن عاصم بن ثابت رضي الله عنه أبى أن ينزل على عهد الكفار؛ لأنهم لا يؤمنون، كل كافر فهو غير أمين، ثم إنهم رموهم بالنبل، أي هؤلاء الهذليون رموا هؤلاء الصحابة العشرة، فقتلوا عاصمًا وقتلوا ستة آخرين، وبقي ثلاثة، بقي هؤلاء الثلاثة وقالوا: ننزل وننظر هل يوفون أم لا؟ فأخذهم الهزليون ثم حلوا قسيهم وربطوهم بها أي ربطوا أيديهم، فقال الثالث: هذا أول الغدر، لا يمكن أن أصحبكم، فحاولوا معه، قال: أبدًا، فقتلوا.

ثم ذهبوا بخبيب وصاحبه إلى مكة فباعوهما، فاشترى خبيبًا رضي الله عنه أُناس من أهل مكة، وقد كان قتل زعيمًا لهم في بدر، ورأوا أن هذه فرصة أن يقتلوه، ثم أبقوه عندهم أسيرًا مغلولة يداه، وفي يوم من الأيام كان في البيت وكان أسيرًا مغلولة يده، فدرج صبيٌ من أهل البيت إلى خبيب، فكأنه رق له ورحمه كعادة الإنسان يرحم الصغار ويرق لهم؛ ولهذا إذا رأيت من نفسك أنك ترق للصغار وترحمهم فهذه من علامة رحمة الله لك؛ لأن الراحمين يرحمهم الله عز وجل؛ ولهذا قال الأقرع بن حابس لما رأى النَّبيَّ ﷺ يُقبل الحسن والحسين: إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ منهم أحدًا قط، فقال ﷺ : **«أو أملك نزع الله الرحمة من قلبك، إنما يرحم الله من عباده الرحماء»** (١) .

خبيب أخذ الصبي ووضعه على فخذه وكان قد استعار من أهل البيت موسى ( يعني موس ) يستحد به، أي يحلق به عانته، لما ذهب الصبي يلعب وأمه غافلة عنه، لما تفطنت له إذا هو على فخذ خبيب، وخبيب معه الموسى فظنت أن

---

( ١ ) أخرجه البخاري ( ٥٩٩٨ ) ومسلم ( ٢٣١٧ ) .

هذه فرصة لخبيب، ماذا يصنع يذبح الولد، الموس معه، والولد صبي وهو منفرد به، لكنه ﷺ أمين، صحابي جليل، لما أحسّ أن الأم ارتاعت وفزعت، قال: والله ما كنت لأذبحه، قالت: والله ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، رأيته ذات يوم وفي يده قطف عنب يأكله، ومكة ما فيها ثمر، فعلمت أن ذلك من عند الله عز وجل، الله سبحانه وتعالى هيّأ له هذا العنب، وهو أسير لا يملك لنفسه شيئًا لا يستطيع أن يخرج إلى السوق يشتري أو يطعم، تحت رحمة هؤلاء، ولكن الله جلّ وعلا يسّر له هذا القطف من العنب، يأكل عنبًا وهو في مكة، فعلمت أنه من عند الله.

وهذا كقصة مريم عليها السلام ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)** ﴾ [آل عمران: ٣٧] ، فهذه كرامة الله تعالى لخبيب ﷺ، أكرمه الله سبحانه وتعالى، تنزل عليه مائدة من العنب يأكلها وهو أسير في مكة، وبقي أسيرًا ثم أجمع هؤلاء القوم - الذين قُتل والدهم على يد خبيب - أجمعوا أن يقتلوه، لكنهم لاحترامهم للحرم، قالوا: نقتله خارج الحرم؛ لأن الإنسان إذا قتل أحدًا خارج الحرم، ودخل إلى الحرم فإنه لا يجوز أن يُقتل في الحرم، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا** ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فهذه سنة كانت في الجاهلية وأقرها الإسلام، على أن الإنسان إذا فعل ما يوجب القتل (يستحق عليه القتل) خارج الحرم ثم لجأ إلى الحرم، فإن الحرم يعيذه ولا يجوز أن يُقتل فيه، وماذا يُصنع به؟ يعني لو قال قائل: لو سلمنا بهذه القاعدة، كان كل إنسان مجرم يذهب إلى الحرم ويلوذ به، قلنا: نحن لا نقتله في الحرم، لكن نُضيق عليه حتى يخرج، كيف نُضيق عليه؟ قال العلماء: لا يُؤكل معه ولا يشارب، ولا يباع ولا يشترى منه، ولا يُكلم، نضيق عليه حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، حينئذ ماذا يصنع؟ يخرج، وإذا خرج أقمنا عليه ما يجب عليه [١].

---

(١) انظر احكام القرآن للجصاص (١/٢٥٩) وتفسير القرطبي (٣/٣٥١) وهذا هو الرأي الراجح.

المهم أنهم خرجوا بخبيب خارج الحرم إلى الحل ليقتلوه، فطلب منهم أن يُصلي، فطلب منهم أن يُصلي ركعتين؛ لأن أشرف الأعمال البدنية الصلاة، ولأنها صلة بين العبد وربه عز وجل، فأذنوا له أن يصلي ركعتين، انتهى منها وقال: لولا أني أخاف أن تقولوا إنه يفر من القتل - أو كلمة نحوها - لزدت، ولكنه ﷺ صلى ركعتين فقط، ثم قال: لولا أني أخاف أن تظنوا أن بي جزعًا لزدت؛ لأنه ﷺ كان حريصًا على الصلاة ويجب أن منها عند موته، ثم دعا عليهم ﷺ بهذه الدعوات الثلاث، اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تُبقِ منهم أحدًا، فأجاب الله دعوته، وما دار الحول على واحد منهم، كلهم قُتلوا، وهذه من كراماته ﷺ .

ثم أنشد هذا الشعر:

فلست أُبالي حين أُقتل مسلمًا ... على أيّ جنب كان في الله مصرعي
وذاك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

فصار من الكرامة لهذا الرجل أن الله سبحانه وتعالى كان يرزقه الفاكهة التي لا توجد في مكة، وأنه كان يأكلها بيده، ويده موثقة بالحديد، وأنه أول من سنّ الصلاة عند القتل، فإنه فعل ذلك وأقره الله ورسوله، وأنه دعا على هؤلاء القوم، فأجاب الله دعوته.

أما عاصم بن ثابت الذي قُتل ﷺ، فإنه يشعر به قوم من قريش، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم فأرسلوا إليه جماعة يأتون بشيء من أعضائه يُعرف به حتى يطمئنوا أنه قُتل، فلما جاء هؤلاء القوم ليأخذوا شيئًا من أعضائه أرسل الله سبحانه وتعالى عليه شيئًا مثل الظلة من الدبر (أي من النحل) نحلٌ عظيم، يحميه الله تعالى به من هؤلاء القوم، فعجزوا أن يقربوه ورجعوا خائبين، وهذا أيضًا من كرامة الله تعالى لعاصم ﷺ أن الله سبحانه وتعالى حمى جسده بعد موته من هؤلاء الأعداء الذين يريدون أن يمثلوا به.

# فضل أسيد بن حضير

## وعباد بن بشر رضي الله عنهما

عن أنس رضي الله عنه «أن رجلين من أصحاب النّبيّ ﷺ خرجا من عند النّبيّ ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، فلما افترقا، صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله» (١).

حديث الرجلين: أُسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما كانا عند النّبيّ ﷺ في ليلة مظلمة، وكان في ذات الوقت ليس في الأسواق أنوار، بل ولا في البيوت مصابيح، فخرجا من عند النّبيّ ﷺ في تلك الليلة، الليلة المظلمة، فجعل الله تعالى بين أيديهما مثل المصباحين، يعني مثل مصباح الكهرباء تُضيء لهما الطريق، وليس هذا من فعلهما ولا بسبب منهما ولكن الله تعالى خلق نوراً يسعى بين أيديهما حتى تفرقا، وتفرق النور مع كل واحد منهما، حتى بلغا بيوتهما، وهذه كرامة من الله عز وجل، من كرامة الله تعالى أنه يضيء للعبد المؤمن الطريق، الطريق الحسي، وفائدته الحسية، فإنّ هذين الرجلين رضي الله عنهما وأرضاهما مشيا في إضاءة ونور، بينما الأسواق ليس فيها إضاءة ولا أنوار والليلة مظلمة، فقيض الله لهما هذا النور.

هناك أيضًا نور معنويّ يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن كرامة له، تجد بعض العلماء يفتح الله عليه من العلوم العظيمة الواسعة في كل فن ويرزقه الفهم والحفظ والمجادلة، ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – فإن هذا الرجل منّ الله به على الأمة الإسلامية، ومازالت الأمة الإسلامية تنتفع بكتبه إلى يومنا هذا، وقد تُوفي رحمه الله سنة (٧٢٨هـ) أي منذ مئات السنين، ومازالت الأمة تنتفع بكتبه، وقد أعطاه الله تعالى علمًا عظيمًا وفهمًا ثاقبًا، وقوة

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥، ٣٦٣٩، ٣٨٠٥).

في المجادلة ولا أحد يستيطع أن يجادله في شيء أبدًا، ما قام له أحد، حتى إنه – رحمه الله – قال: أيّ إنسان يجادلني بالباطل ويستدل بآية أو حديث، فإنني سأجعل الآية والحديث دليلاً عليه، وليست دليلاً له.

وهذا من نعمة الله عز وجل أن الله تعالى يُعطي الإنسان قدرة إلى هذا الحد،وحتى إنه يتكلم مع المجادلين ويناظرهم، ثم يقول لهم: انظروا إلى قول فلان من زعمائهم في كتابه الفلاني مع أن أتباع هذا الرجل الذي يجادلون فيه شيخ الإسلام لا يعلمون عن كتبه شيئًا وهو يعلم ما في كتبه، ومناظرته في العقيدة الواسطية مع القاضي المالكي عجيبة، كان القاضي المالكي يحاول أن يجعل السلطان يبطش به؛ لكنه هو يقول: هذا لا يمكن ولا يجري على مذهبكم، وأنتم أيها المالكية قلتم كذا وكذا، ولا يمكن أن يدين للوالي في هذا الذي ذكرت بناء على مذهبكم، فيبهت الرجل، كيف يعرف من مذهبنا ما لا نعلم.

وله أيضًا – رحمه الله – في كل فن يد واسعة، كان عالمًا في النحو والعربية والصرف والبلاغة، حتى إن تلميذه ابن القيم – رحمه الله – في بدائع الفوائد بحث بحثًا دقيقًا جدًا في الفرق بين «مدح» و«حمد» وكيف تفرق اللغة العربية بين المعاني في الكلمات بتقديم حرف أو تأخيره وأتى ببحث عجيب، ثم قال: وكان شيخنا – رحمه الله – إذا تكلم في هذا أتى بالعجب العجاب، يعني في مسألة اللغة والصرف، ولكنه كما قال الشاعر:

تألق البرق نجديًا فقلت له ... إليك عني فإني عنك مشغول

يعني شيخ الإسلام مشتغل بما هو أكبر من مسألة نحوية أو بلاغية أو صرفية، فهو مشغول بأكبر من هذا، وفي يوم من الأيام قدم مصر، وكان فيها أبو حيان اللغوي المشهور والمفسر الكبير في هذا الباب، وكان أبو حيان يمدح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وله في مدحه قصيدة عصماء، منها قوله:

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم إذ عصت مضر

وسيد تيم هو أبو بكر رضي الله عنه يعني أنه قام في الإسلام في محنة الإسلام والبدع مقام أبي بكر في يوم المحن، ومدحه في قصيدة عصماء، فلما قدم مصر، جاء الناس إلى شيخ الإسلام ابن تيمية يستفيدون من علمه ويناقشونه، وكان من بينهم أبو حيان، فناقشه في مسألة نحوية؛ لأن أبا حيان بحر محيط في النحو، ناقشه في مسألة نحوية، فقال له شيخ الإسلام هذا غلط ليس هذا كلام العرب، فقال له: كيف وسيبويه إمام النحويين ذكر هذا في كتابه؟ فقال له شيخ الإسلام: وهل سيبويه نبيٌ نحو يجب علينا أن نتبعه؟ لقد أخطأ سيبويه في كتابه في أكثر من ثمانين موضعًا لا تعلمه أنت ولا سيبويه، سيبويه عند النحويين مثل البخاري عند أهل الحديث، فتعجب أبو حيان، كيف يقول هذا الكلم، ثم إنه ذهب عنه فأنشأ فيه قصيدة يذمه والعياذ بالله، بالأمس يمدحه، والآن يذمه.

المهم إني أقول: إذا كان الله تعالى يُعطي بالكرامات نورًا حسيًا يستضيء به الإنسان كما حدث لهذين الصحابيين فكذلك يُعطي الله نورًا معنويًا يقذفه في قلب العبد المؤمن، نسأل الله أن يقذف في قلوبنا وإياكم نورًا، يستطيع الإنسان به أن يتكلم في شريعة الله وكأن النصوص بين عينيه، وهذا من نعمة الله على العبد، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أوليائه المتقين وعباده الصالحين.

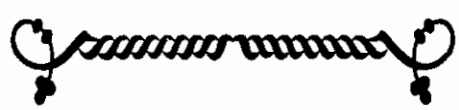

## فضل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

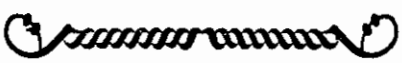

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لما حضرت أُحُد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلاّ مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب النّبيّ ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإنّ عليّ ديناً فاقضِ،واستوصِ بأخواتك خيراً، فأصبحنا فكان أول قتيل، ودفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه، فجعلته في قبر على حدة» (١).

ذُكر في هذا الحديث ما جرى لعبد الله بن حرام رضي الله عنه والد جابر بن عبد الله، فإنه أيقظ ابنه جابراً ليلة من الليالي، وقال: إني لن أترك من بعدي أحداً أعز منك بعد رسول الله ﷺ، وأوصاه بأن يقضي ديناً كان عليه، وأوصاه بأخواته، ثم كانت الغزوة فقاتل رضي الله عنه (عبد الله بن حرام) وقُتل.

وكان القتلى في ذلك اليوم سبعين رجلاً، فكان يشقُّ على المسلمين أن يحفروا لكل رجل قبراً، فجعلوا يدفنون الإثنين والثلاثة في قبر واحد، فدُفن مع عبد الله بن حرام (والد جابر) رجل آخر، ولكن جابر . لم تطب نفسه حتى فرق بين أبيه وبين من دُفن معه، فحفره بعد ستة أشهر من دفنه، فوجده كأنه دُفن اليوم، لم يتغير إلاّ شيء في أذنه، شيء يسير، ثم أفرده في قبر.

أما جابر رضي الله عنه فقد وفّى دين أبيه واستوصى بأخواته خيراً، حتى إنه تزوج بعد ذلك بامرأة ثيب ، فسأله النّبيّ ﷺ: «**هل تزوجت؟**» قال: نعم، قال: «**بكراً أم ثيباً؟**» قال: ثيباً، قال: «**فهلاّ تزوجت بكراً تلاعبك وتلاعبها، وتضاحكك وتضاحكها**» فقال: يا رسول الله، إني أبي ترك أخوات لي. وذكر أنه أخذ الثيب لتقوم عليهن وعلى خدمتهن (٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥١، ١٣٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٨٠) ومسلم (٧١٥).

في هذا الحديث كرامة لأبي جابر وهو عبد الله بن حرام أنه ﷺ صدق الله رؤياه فصار أول قتيل في أُحُد، دُفن ولم تأكل الأرض منه شيئًا إلاّ يسيرًا، وقد مضى عليه ستة أشهر، وهذا من كراماته.

واعلم أن الإنسان إذا دُفن فإن الأرض تأكله لا يبقى إلاّ عجب الذنب، وعجب الذنب هذا يكون كالنواة لخلق الناس يوم القيامة، تنبت منه الأجساد، إلاّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن الأرض لا تأكلهم، كما قال النّبيّ ﷺ: «**إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[1] أما غير الأنبياء فإن الأرض تأكل أجسادهم، ولكن قد يمنع الله الأرض أن تأكل أحداً كرامة له. والله الموفق.

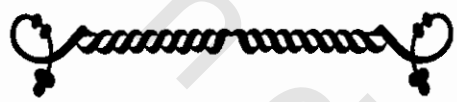

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (١٥٣١) وابن ماجه (١٠٨٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٦٢).

## فضل عمير بن الحمام رضي الله عنه

عن جابر رضي الله عنه قال: «قال رجل للنبيّ ﷺ يوم أُحُد: أرأيت إن قُتلتُ فأين أنا؟ قال: «في الجنة» فألقى تمرات كنّ في يده، ثم قاتل حتى قُتل»(١).

عن جابر رضي الله عنه وعن أبيه: أن رجلاً قال لنبي ﷺ يوم أُحد: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت حتى قُتلت، قال: «أنت في الجنة» فألقى تمرات كانت معه ثم تقدم، فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه.

ففي هذا الحديث: دليل على مبادرة الصحابة رضي الله عنهم إلى الأعمال الصالحة وأنهم لا يتأخرون فيها، وهذا شأنهم؛ ولهذا كانت لهم العزة في الدنيا وفي الآخرة، ونظير هذا أن النّبيّ ﷺ خطب الناس يوم عيد، ثم نزل فتقدم إلى النساء فخطبهن وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة منهن تأخذ خرصها وخاتمها،وتُلقيه في ثوب بلال، يجمعه حتى أعطاه النّبيّ ﷺ، ولم يتأخرن رضي الله عنهن بالصدقة، بل تصدقن حتى من حليهن(٢).

وفي حديث جابر من الفوائد: أنه من قُتل في سبيل الله فإنه في الجنة، ولكن من هو الذي يُقتل في سبيل الله؟ الذي يُقتل في سبيل الله هو الذي يُقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، لا يُقاتل حمية مثل الذين يقاتلون من أجل القومية العربية مثلاً، فإن هؤلاء ليسوا شهداء؛ وذلك لأن القتال من أجل القومية العربية ليس في سبيل الله؛ لأنه حمية، فلا يُقاتل حمية ولا شجاعة ولا رياء، وإنما يُقاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

وكذلك أيضًا: من قاتل مراءاةً – والعياذ بالله – ليرى مكانه وأنه رجلٌ يقاتل الأعداء الكفار، فإنه ليس في سبيل الله؛ لأن النّبيّ ﷺ سُئل عن الرجل يُقاتل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٦) ومسلم (١٨٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٩٦٤) ومسلم (٨٨٤).

حمية ويُقاتل شجاعة ويُقاتل ليرى مكانه، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**» (١).

وفي هذا دليل على حرص الصحابة ﷺ على معرفة الأمور؛ لأن هذا الرجل سأل النّبيّ ﷺ وكان هذا من عادتهم أنهم لا يفوتون الفرصة حتى يسألوا النّبيّ ﷺ؛ لأنهم يستفيدون من هذا علمًا وعملاً، فإنّ العالم بالشريعة قد منّ الله عليه بالعلم، ثم إذا عمل به فهذه منة أخرى، والصحابة ﷺ كان هذا شأنهم، فيسألون النّبيّ ﷺ عن الحكم الشرعي من أجل أن يعملوا به، بخلاف ما عليه كثير من الناس اليوم، فإنهم يسألون عن الأحكام الشرعية حتى إذا علموا بها تركوها، ونبذوها وراء ظهورهم، وكأنهم لا يريدون من العلم إلاّ مجرد المعرفة النظرية، وهذا في الحقيقة خسران مبين؛ لأن من ترك العمل بعد علمه به فإن الجاهل خير منه.

فإذا قال قائل: لو رأينا رجالا يقاتلون ويقولون: نحن نقاتل للإسلام، دفاعًا عن الإسلام، ثم قُتل أحد منهم، فهل نشهد له بأنه شهيد؟ فالجواب: لا، لا نشهد بأنه شهيد؛ لأن النّبيّ ﷺ قال: «**ما من مكلوم يكلم في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلاّ جاء يوم القيامة وجرحه يثغب دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك**» (٢) فقوله: «**والله أعلم بمن يكلم في سبيله**» يدل على أن الأمر يتعلق بالنية المجهولة لنا، والمعلومة عند الله، وخطب عمر بن الخطاب ﷺ ذات يوم فقال: أيها الناس إنكم تقولون فلان شهيد، وفلان شهيد، ولعله أن يكون قد أوقر راحلته، يعني قد حملها من الغلول ﷺ، يعني لا تقولوا: هكذا، ولكن قولوا: من مات أو قُتل في سبيل الله فهو شهيد (٣)، فلا تشهد لشخص بعينه أنه شهيد إلاّ من شهد له النّبيّ ﷺ، فإنك تشهد له، أما من سوى هذا فقل كلامًا عامًا، قل: من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، هذا نرجو أن يكون من الشهداء، وما أشبه ذلك من الكلام.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣) ومسلم (١٩٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣٣) ومسلم (١٨٧٦).

(٣) صحيح، أخرجه النسائي (٦/ ١١٨) وأحمد (١/ ٤١، ٤٨).

## فضل أبي دجانة رضي الله عنه

عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أُحد فقال: «**من يأخذ مني هذا؟**» فبسطوا أيديهم، كل واحد منهم يقول: أنا، أنا، قال: «**فمن يأخذه بحقه؟**» فأحجم القوم، فقال أبو دجانة رضي الله عنه: أنا آخذه بحقه، فأخذه ففلق به هام المشركين» (١).

قال المؤلف - رحمه الله - فيما نقله عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النّبيّ ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد، فقال: «**من يأخذ هذا السيف؟**» فبسط القوم كلهم أيديهم يقولون: أنا، أنا، أنا آخذه، ثم قال النّبيّ ﷺ: «**من يأخذه بحقه؟**» فأحجم القوم ولم يشر أحد منهم ليقول أنا آخذه، حتى بادر أبو دجانة رضي الله عنه فقال: أنا آخذه بحقه، فأخذه ففلق به هام المشركين.

وفي هذا الحديث: يقول أنس بن مالك إنّ الرسول ﷺ في غزوة أحد، وغزوة أُحُد إحدى الغزوات الكبار التي غزاها رسول الله ﷺ بنفسه، وأُحُد جبل قرب المدينة، وكان سبب الغزوة أن قريشًا لما أُصيبوا ببدر بقتل زعمائهم وكبرائهم، أرادوا أن يأخذوا بالثأر من النّبيّ ﷺ، فجاءوا إلى المدينة يريدون غزو الرسول ﷺ، فاستشار النّبيّ ﷺ أصحابه حين علم بقدومهم، فأشار عليه بعضهم بالبقاء في المدينة، وأنهم إذا دخلوا المدينة أمكن أن يرموهم بالنبل وهم متحصنون في البيوت، وأشار بعضهم ولا سيما الشباب منهم والذين لم يحضروا غزوة بدر أشاروا أن يخرج إليهم.

فدخل النّبيّ ﷺ، بيته ولبس لأمته - يعني لأمة الحرب - ثم خرج، وأمر بالخروج إليهم في أُحُد.

فالتقوا في أُحُد، وصفّ النّبيّ ﷺ أصحابه صفًا مرتبًا من أحسن ما يكون،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٠).

وجعل على الجبل الرماة الذين يُحسنون الرمي بالنبل، وهم خمسون رجلاً، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير ﷺ وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم، ابقوا في مكانكم سواء كانت لنا أو علينا.

فلما التقى الصفان، انهزم المشركون وولوا الأدبار، وصار المسلمون يجمعون الغنائم، فقال الرماة الذين في الجبل، انزلوا ناخذ الغنائم ونجمعها، فذكّرهم أميرهم بأمر النّبيّ ﷺ لهم أن يبقوا في أماكنهم سواء كانت للمسلمين أو عليهم، ولكنهم ﷺ ظنوا أن الأمر قد انتهى؛ لأنهم رأوا المشركين ولوا ولم يبقَ إلاّ نفرٌ قليل.

فلما رأى فرسان قريش أن الجبل قد خلى من الرماة، كروا على المسلمين من خلفهم ثم اختلطوا بالمسلمين، فصار ما كان بقدر العزيز الحكيم جلّ وعلا، واستُشهد من المسلمين سبعون رجلاً، منهم حمزة بن عبد المطلب ﷺ عم رسول الله ﷺ، وأسد الله وأسد رسوله.

فلما أُصيب المسلمون بهذه المصيبة العظيمة، قالوا: أنّى هذا؟ كيف نُهزم ومعنا رسول الله ﷺ، ونحن جند الله وأولئك معهم الشياطين، وهم جنود الشياطين؟! فقال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] أنتم السبب؛ لأنكم عصيتم، كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] يعني حصل ما تكرهون.

فحصل ما حصل لحِكَمٍ عظيمة، ذكرها الله عز جل في سورة آل عمران، وتكلّم عليها الحافظ ابن القيم – رحمه الله – كلامًا جيدًا، لم أرَ مثله في كتاب «زاد المعاد» في بيان الحِكَم العظيمة من هذه الغزوة.

المهم أن الرسول ﷺ أخذ سيفًا فقال لأصحابه: «من يأخذ مني هذا السيف؟» كلهم قال: ناخذه، رفعوا أيديهم وبسطوها، كل يقول: أنا، أنا،

فقال: «**فمن يأخذه بحقه؟**» فأحجم القوم، ما يعلمون ما حقه، يخشون أن حقه يكون كبيرًا جدًا لا يستطيعون القيام به، ويخشون أيضًا أن يعجزوا عن القيام به، فيكونون قد أخذوا هذا السيف على العهد من رسول الله ﷺ، ثم لا يوفون به، ولكن الله وفّق أبا دجانة رضي الله عنه فقال: أنا آخذه بحقه. فأخذه بحقه، وهو أن يضرب به حتى ينكسر، أخذه بحقه رضي الله عنه وقاتل به، وفلق به هام المشركين رضي الله عنه.

وفي هذا دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يُبادر بالخير وألاّ يتأخر، وأن يستعين بالله عز وجل، وهو إذا استعان بالله وأحسن الظن به أعانه الله، كثير من الناس ربما يستكثر العبادة، أو يرى أنها عظيمة يستعظمها، فينكص على عقبيه، ولكن يقال للإنسان استعن بالله توكّل على الله، وإذا استعنت بالله وتوكلت عليه ودخلت فيما يرضيه عز وجل، فأبشر بالخير،وأن الله تعالى سيُعينك، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [ الطلاق: ٣ ].

وفي هذا دليل أيضًا على حسن رعاية النّبيّ ﷺ لأمته؛ لأنه لم يخص بالسيف أحدًا من الناس، ولكنه جعل الأمر لعموم الناس، وهكذا ينبغي للإنسان الذي استرعاه الله رعية ألاّ يُحابي أحدًا، وألاّ يتصرف تصرفًا يظن أنه محاب فيه؛ فإنه إذا حابى أحدًا أو تصرف تصرفًا يظن به أنه حابى فيه، حصل من القوم فرقة وهذا يُؤثر على الجماعة، نعم لو امتاز أحد من الناس بميزة لا توجد في غيره، ثم خصه الإنسان بشيء ولكنه يبين للجماعة أنه خصه لامتيازه بشيء لا يوجد فيهم، فهذا لا بأس به.

## فضل ربيعة الأسلمي رضي الله عنه

عن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله ﷺ، ومن أهل الصفة رضي الله عنهم قال: كنت مع رسول الله ﷺ، فآتيه بوضوئه، وحاجته فقال: «**سلني**» فقلت: أسالك مرافقتك في الجنة. فقال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك. قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» (١).

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - فيما نُقل عن ربيعة بن مالك الأسلمي رضي الله عنه، وكان خادمًا للرسول ﷺ والذين يخدمون النّبيّ ﷺ من الأحرار عدد منهم: ربيعة بن مالك، ومنهم: ابن مسعود، ولهم الشرف بخدمة رسول الله ﷺ، وكان من أهل الصفة، وأهل الصفة رجال مهاجرون هاجروا إلى المدينة، وليس لهم مأوى، فوطنهم النّبيّ ﷺ في صفة في المسجد النبوي، وكانوا أحيانًا يبلغون الثمانين، وأحيانًا دون ذلك، وكان الصحابة رضي الله عنهم يأتونهم بالطعام واللبن وغيره مما يتصدقون به عليهم.

فكان ربيعة بن مالك رضي الله عنه يخدم النّبيّ ﷺ، وكان يأتيه بالوضوء وحاجته، والوضوء بالفتح: الماء الذي يتوضأ به، والوضوء بالضم: فعل الوضوء، وأما الحاجة فلم يبينها، ولكن المراد كل ما يحتاجه النّبيّ ﷺ يأتي به إليه.

فقال له ذات يوم: سلْ، من أجل أن يكافئه النّبيّ ﷺ على خدمته إياه؛ لأن النّبيّ ﷺ أكرم الخلق، وكان يقول: «**من صنع إليكم معروفًا فكافئوه**» (٢) فأراد أن يكافئه فقال له: سل، يعني اسأل ما بدا لك، وقد يتوقع الإنسان أن هذا الرجل سيسأل مالاً، ولكن همته كانت عالية، قال: أسالك مرافقتك في الجنة، قال: «**أو غير ذلك؟**» يعني أو تسأل غير ذلك مما يمكن أن أقوم به، قال: «هو ذاك» يعني لا أسأل إلاّ ذاك، قال النّبيّ ﷺ: «**فأعنّي على نفسك بكثرة السجود**».

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (١٦٧٢، ٥١٠٩) والنسائي (١/٣٥٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وهذا هو الشاهد أن الرسول ﷺ قال: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**» وكثرة السجود تستلزم كثرة الركوع، وكثرة الركوع تستلزم كثرة القيام؛ لأن كل صلاة في كل ركعة منها ركوع وسجودان.

فإن كثر السجود كثر الركوع وكثر القيام، وذكر السجود دون غيره؛ لأن السجود أفضل هيئة للمصلي، فإن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وإن كان المصلي قريبًا من الله قائمًا كان أو راكعًا أو ساجدًا أو قاعدًا، لكن أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد.

وفي هذا دليل: على فضل السجود، واختلف أهل العلم هل الأفضل إطالة القيام أم إطالة الركوع والسجود؟ فمنهم من قال: الأفضل إطالة القيام، ومنهم من قال: الأفضل إطالة الركوع والسجود، والصحيح: أن الأفضل أن تكون الصلاة متناسبة، وإلاَّ فإن القيام بلا شك أطول من الركوع والسجود في حد ذاته، لكن ينبغي إذا أطال القيام أن يطيل الركوع والسجود وإذا قصر القيام أن يقصر الركوع والسجود.

وفي هذا دليل على أن الصلاة مهما أكثر منها فهو خير له، إلاَّ أنه يستثنى من ذلك أوقات النهي، وأوقات النهي هي من طلوع الفجر إلى ارتفاع الشمس مقدار رمح، وعند قيامها في منتصف النهار حتى تزول، ومن صلاة العصر إلى الغروب، فإن هذه الأوقات الثلاثة لا تجوز للإنسان أن يصلي فيها صلاة تطوع إلاَّ إذا كان لها سبب، كتحية المسجد، وسُنة الوضوء، وما أشبه ذلك.

وفي الحديث: دليل على جواز استخدام الرجل الحر، وأن ذلك لا يُعد من المسألة المذمومة، فلو أنك قلت لشخص من الناس ممن يقومون بخدمتك: أعطني كذا، أعطني كذا، فلا بأس، وكذلك لو قلت لصاحب المنزل أعطني ماءً، صب لي فنجان قهوة، فلا بأس؛ لأن هذا لا يعد من السؤال المذموم، بل هذا من تمام الضيافة، وقد جرت العادة بمثله.

وفيه أيضًا: دليل على أن الرسول ﷺ لا يملك أن يدخل أحدًا الجنة؛ ولهذا لم يضمن لهذا الرجل أن يعطيه مطلوبه، ولكنه قال له: «**فأعنّي على نفسك بكثرة السجود**» فإذا قام بكثرة السجود التي أوصاه بها رسول الله ﷺ، فإنه حريّ بأن يكون مرافقًا للرسول ﷺ في الجنة.

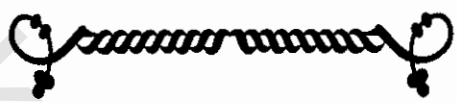

obeikandl.com

## فضل حنظلة بن الربيع رضي الله عنه

وعن أبي ربعي حنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب أحد كتاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله، ما تقول؟! قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يُذكرنا بالجنة والنار كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنّا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله!، فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك؟**» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تُذكرنا بالنار والجنة كأنّا رأي العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» ثلاث مرات (١).

قال المؤلف – رحمه الله تعالى – فيما نقله عن حنظلة الكاتب أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، أنه قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقلت: «نافق حنظلة» يعني نفسه، ومعنى نافق: يعني صار من المنافقين، قال ذلك ظنًا منه رضي الله عنه أن ما فعله نفاق، فقال أبو بكر: «وكذلك كنّا إذا كنّا عند النّبيّ ﷺ يذكرنا بالجنة والنار حتى كأنّا رأي عين» يعني كأنا نرى الجنة والنار، رأي عين من قوة اليقين، حيث يخبرهم بذلك ﷺ، وما أخبر به النّبيّ ﷺ كالمشاهد، بل قد يكون أعظم؛ لأنه خبر من أصدق الخلق صلوات الله وسلامه عليه، وأعلم الخلق بالله.

«فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات» يعني: لهونا معهم، ونسينا ما كنا عليه عند النّبيّ ﷺ، فقال أبو بكر عن نفسه: إنه يصيبه كذلك، ثم ذهبا إلى النّبيّ ﷺ، فلما وصلا إليه قال حنظلة: نافق حنظلة يا

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٠) والترمذي (٢٥١٤).

رسول الله، قال: «**وما ذاك؟**» فأخبره بأنهم إذا كانوا عند النّبيّ ﷺ فحدثهم عن النار والجنة، أخذهم من اليقين كأنهم يرونها رأي العين، ولكن إذا خرجوا عافسوا الأهل والأولاد والضيعات وتلهوا بهم نسوا كثيراً.

فقال النّبيّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لو تكونون على ما تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم**» أي: من شدة اليقين تُصافحكم إكرامًا لكم، وتثبيتًا لكم؛ لأنه كلما زاد اليقين للعبد فإن الله سبحانه وتعالى يثبته ويقويه كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

«**ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة، ساعة وساعة، ساعة وساعة**» يعني ساعة للرب عز وجل وساعة مع الأهل والأولاد، وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها، ويُعطي ذوي الحقوق حقوقهم. وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها، أن الله عز وجل له حق فيعطي حقه عز وجل، وكذلك للنفس حق فتعطى حقها، وللأهل حق فيعطون حقوقهم، وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم، حتى يقوم الناس بجميع الحقوق التي عليهم على وجه الراحة، ويتعبد لله عز وجل؛ لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدّد عليها ملّ وتعب، واضاع حقوقًا كثيرة.

هذا كما يكون في العبادة وفي حقوق النفس والأهل والضيف يكون كذلك أيضًا في العلوم، فإذا طلب الإنسان العلم ورأى في نفسه مللاً في مراجعة كتاب ما، فلينتقل إلى كتاب آخر، وإذا رأى من نفسه مللاً في دراسة فن معين، فإنه ينتقل إلى دراسة فن آخر، وهكذا يريح نفسه، ويحصل علمًا كثيرًا، أما إذا أكره نفسه على الشيء حصل له من التعب والملل ما يجعله يسأم وينصرف إلاّ من شاء الله، فإن بعض الناس يُكره نفسه على المراجعة والمطالعة والبحث مع التعب، ثم يأخذ على ذلك، ويكون هذا أمرًا دائمًا له، ويكون ديدنًا له، حتى إنه إذا فقد هذا الشيء ضاق صدره، والله يُؤتي فضله من يشاء والله ذو فضل عظيم.

## فضل أنس بن النضر رضي الله عنه

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني قتال المشركين ليرينّ الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد، انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب الكعبة، إني أجد ريحها من دون أُحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع! قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل ومثّل به المشركون فما عرفه أحد إلاّ أخته ببنانه، قال أنس: كنّا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣] (١).

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - فيما نقله عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن عمه أنس بن النضر رضي الله عنه أنّ أنسًا لم يكن مع الرسول ﷺ يعني أنس بن النضر في بدر؛ وذلك لأن غزوة بدر خرج إليها النّبيّ ﷺ وهو لا يريد القتال، وإنما يريد عير قريش وليس معه إلاّ ثلاثمائة وبضع عشر رجلاً، معهم سبعون بعيراً وفرسان يتعاقبون عليها وقد تخلف عنها كثير من الصحابة؛ لأنها ليست غزوة، ولم يدع إليها أحد وإنما خرج إليها الخفاف من الناس.

قال أنس بن النضر للنبي ﷺ يُبيّن له أنه لم يكن معه في أول قتال قاتل فيه المشركين، وقال: لئن أدركتُ قتالاً لأُرينّ الله ما أصنع.

فلما كانت أحد وهي بعد غزوة بدر بسنة وشهر، خرج الناس وقاتلوا مع

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥) ومسلم (١٩٠٣).

النّبيّ ﷺ، وصارت الدائرة في أول النهار للمسلمين، ولكن لما تخلف الرماة عن الموقع الذي جعلهم النبيّ ﷺ فيه، ونزلوا من الجبل، كرّ فرسان المشركين على المسلمين من خلفهم، واختلطوا بهم، وانكشف المسلمون، وصارت الهزيمة لما انكشف المسلمون، تقدم أنس بن النضر رضي الله عنه وقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين.

ثم تقدم رضي الله عنه فاستقبله سعد بن معاذ فسأله: إلى أين؟ قال: يا سعد، إني لأجد ريح الجنة دون أُحُد، وهذا وجدان حقيقي، ليس تخيلاً أو توهماً، ولكن من كرامة الله، هذا الرجل شمّ رائحة الجنة قبل أن يستشهد رضي الله عنه، من أجل أن يقدم ولا يحجم فتقدم فقاتل فقتل رضي الله عنه.

استُشهد ووجد فيه بضع وثمانون طعنة، ما بين ضربة بسيف أو برمح أو بسهم، حتى إنه قد تمزق جلده، لم يعرفه أحد إلاّ أخته، ولم تعرفه إلاّ ببنانه رضي الله عنه.

فكان المسلمون يرون أن الله قد أنزل فيه هذه الآية ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ولاشك أن هذا وأمثاله رضي الله عنهم يدخلون دخولاً أوليًا في هذه الآية، فإنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، حيث قال أنس: والله ليرين الله ما أصنع، ففعل، فصنع صنعًا لا يصنعه أحد إلاّ من منّ الله عليه بمثله حتى استُشهد.

ففي هذا الحديث دليل على مجاهدة الإنسان نفسه على طاعة الله، فإنّ أنس بن النضر جاهد نفسه هذا الجهاد العظيم حتى تقدم يُقاتل أعداء الله بعد أن انكشف المسلمون وصارت الهزيمة حتى قُتل شهيداً رضي الله عنه.

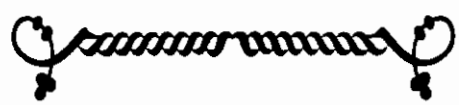

## فضل بلال بن رباح رضي الله عنه

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لبلال: «**يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دفّ نعليك بين يدي في الجنة**» قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلاّ صليتُ بذلك الطهور ما كُتب لي أن أُصلي» (١).

ذكر في كتاب رياض الصالحين بابين، الباب الأول: في تحية المسجد بأنها سنة مؤكدة، إذا دخل المسجد في أي وقت كان وأنه يكره أن يجلس حتى يصلي ركعتين، وأنه لا فرق بين أن تكون الركعتان في تحية المسجد أو في الرواتب أو فريضة أو صلاة استخارة، أو غير ذلك، المهم ألاّ يجلس حتى يصلي ركعتين.

**سنة دخول المسجد مؤكدة:**

حتى إن بعض العلماء قال: إنها واجبة، ويدل على تأكدها أن رجلاً دخل يوم الجمعة، والنبيّ ﷺ يخطب، فجلس، فقال له: «**أصليت؟**» قال: لا، قال: «**قم فصلِّ ركعتين وتجوز فيهما**» (٢)، يعني: خففهما؛ لأجل أن يستمع للخطبة، وإذا كان الرسول ﷺ أمره أن يصلي حال الخطبة مع أن استماع الخطبة واجب، كان ذلك أذانًا بأن تحية المسجد واجبة، ولولا نصوص دلّت على عدم الوجوب، لقلنا إنها واجبة، لكنها سنة مؤكدة في أي وقت، دخلت بعد صلاة الفجر صلِّ ركعتين، بعد صلاة العصر صلِّ ركعتين، عند غروب الشمس صلِّ ركعتين، عند طلوع الشمس صلِّ ركعتين، في أي حال وفي أي وقت، لابد أن تصلي ركعتين، لكن يُستثنى من ذلك:

أولاً – إذا دخل الخطيب فإنه لا يسن له أن يصلي ركعتين، بل يعمد إلى المنبر ويُسلم على الناس ويخطب.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٩) ومسلم (٢٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٠) ومسلم (٨٧٥).

الثاني – إذا دخل المسجد الحرام للطواف فإنه يجزئه الطواف عن صلاة الركعتين [١] .

وأما من دخل المسجد الحرام للصلاة فإنه كغيره من المساجد يصلي تحية المسجد، وما اشتهر بين العامة أن تحية المسجد الحرام الطواف، هذا لا أصل له، بل يُقال: من دخل المسجد الحرام ليطوف أجزأه الطواف عن تحية المسجد، ومن دخل لاستماع درس أو انتظار فريضة أو ما أشبه ذلك فهو كغيره من المساجد، لا يجلس حتى يُصلي ركعتين وينبغي إذا دخل المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة أن يُصلي ركعتين خفيفتين، وإذا دخله والمؤذن يؤذن فإن كان في غير جمعة فإنه ينتظر قائمًا حتى يتابع المؤذن ويدعو بالدعاء الذي بعد الأذان، ثم يصلي ركعتين، وإن كان في يوم الجمعة والأذان هو الثاني، فإنه يصلي تحية المسجد حتى يتفرغ للاستماع للخطبة، هكذا قال أهل العلم – رحمهم الله – .

أما الباب الثاني:

فهو عن سنة الوضوء وأنه ينبغي للإنسان إذا توضأ أن يصلي ركعتين في أي وقت كان،حتى لو بعد العصر، أو بعد الفجر، في أي وقت ينبغي لك إذا توضأت أن تصلي ركعتين؛ لأن بلال بن رباح رضي الله عنه سأله النّبيّ ﷺ عن أرجى عمل عمله في الإسلام، فقال: إني ما توضأت في ليل أو نهار إلاّ صليت ركعتين فأقره النّبيّ ﷺ على ذلك، وينبغي في هاتين الركعتين أن تحرص غاية الحرص على ألاّ توسوس فيهما، يعني، اجعل لبك وقالبك لصلاتك؛ لأن من أحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه [٢] ويصلي ركعتين سواء في بيته إن توضأ في بيته، أو في المسجد إن توضأ في المسجد أو في أي مكان، والله الموفق.

---

(١) انظر المغني (٣/ ٤٤٤ – ٤٤٨).

(٢) انظر تفصيل المسألة في المجموع (٤/ ٥٥) .

## فضل حكيم بن حزام رضي الله عنه

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: **«يا حكيم، إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»**.

قال حكيم: فقلتُ: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئًا حتى أُفارق الدنيا.

فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء، فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إنّ عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين، أُشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النّبيّ ﷺ حتى توفي [1].

قال المؤلف – رحمه الله تعالى – فيما نقله عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه سأل النّبيّ ﷺ فأعطاه أي: سأله مالاً فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، وكان من هدي النّبيّ ﷺ وكرمه وحسن خلقه، أنه لا يرد سائلاً سأله شيئًا، فما سُئل شيئًا على الإسلام إلا أعطاه ﷺ، ثم قال لحكيم: **«إن هذا المال خضر حلو»** خضر يسر الناظرين حلو يسر الذائقين، فتطلبه وتحرص عليه.

**«فمن أخذه بسخاوة نفس بورك فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه»** فكيف بمن أخذه بسؤال؟ يكون أبعد وأبعد؛ ولهذا قال النّبيّ ﷺ لعمر بن الخطاب: **«ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»** يعني: ما جاءك بإشراف نفس وتطلع وتشوف فلا تأخذه، وما جاءك بسؤال فلا تأخذه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٢) مطولاً، ومسلم (١٠٣٥) مختصراً.

ثم قال النّبيّ ﷺ لحكيم بن حزام: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**» اليد العليا هي يد المعطي، واليد السفلى هي يد الآخذ، فالمعطي يده خير من يد الآخذ؛ لأن المعطي فوق الآخذ، فيده هي العليا كما قال النّبيّ ﷺ، فأقسم حكيم بن حزام رضي الله عنه بالذي بعث النّبيّ ﷺ بالحق ألاّ يسأل أحداً شيئًا، فقال: «يا رسول الله، والذي بعثك لا أرزأ أحداً بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا».

فتوفي الرسول ﷺ، وتولى الخلافة أبو بكر رضي الله عنه فكان يعطيه العطاء فلا يقبله، ثم توفي أبو بكر، فتولى عمر فدعاه ليعطيه، فأبى، فاستشهد عمر عليه فقال: اشهدوا أني أعطيه العطاء من بيت مال المسلمين فلا يقبله. قال ذلك رضي الله عنه لئلا يكون له حجة على عمر يوم القيامة بين يدي الله وليتبرأ من عهدته أمام الناس، ولكن مع ذلك أصر حكيم رضي الله عنه ألاّ يأخذ منه شيئًا حتى توفي.

## فضل أبي طلحة رضي الله عنه

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل عليك: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب مالي إليّ بيرحاء وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله ﷺ: «**بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه(١).

قال المؤلف -- رحمه الله تعالى: «باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد»، لما ذكر -- رحمه الله -- وجوب الإنفاق على الزوجة وعلى الأقارب ذكر أنه ينبغي للإنسان أن يكون ذا همّة عالية، وأن يُنفق من أطيب ماله ومما يحب من ماله، وهناك فرق بين الأطيب وبين الذي يحب، الغالب أن الإنسان لا يحب إلاّ أطيب ماله، لكن أحيانًا يتعلق قلبه بشيء من ماله، وليس أطيب ماله، فإذا أنفق من الطيب الذي هو محبوب لعامة الناس ومما يحبه هو بنفسه وإن لم يكن من الطيب، كان ذلك دليلاً على أنه صادق فيما عامل الله به.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦١) ومسلم (٩٩٨).

ولهذا سُميت الصدقة صدقة لدلالتها على صدق باذلها؛ فالإنسان ينبغي له أن يُنفق من أطايب ماله، وينبغي له أن يُنفق مما يحب، حتى يصدق في تقديم ما يحبه الله عز وجل على ما تهواه نفسه.

ثم استدلّ المؤلف – رحمه الله تعالى – بآيتين من كتاب الله، فقال: قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ البر يعني: الخير الكثير، ومنه سُمي البر للخلاء الواسع، فالبر هو الخير الكثير، يعني لن تنالوا الخير الكثير ولن تنالوا رتبة الأبرار حتى تُنفقوا مما تُحبون.

والمال كله محبوب، لكن بعضه أشد محبة من بعض، فإذا أنفقت مما تحب كان ذلك دليلاً على أنك صادق، ثم نلت بذلك مرتبة الأبرار، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، الخبيث من كل شيء بحسبه، فالخبيث من المال يُطلق على الرديء، ويُطلق على الكسب الرديء، ويُطلق على الحرام.

فمن إطلاقه على الرديء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ هذا بقية الآية التي أولها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾، والخارج من الأرض منه الطيب ومنه الرديء، قال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ أي لا تقصدوا الخبيث وهو الرديء وتُنفقون منه ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ يعني لو كان الحق لكم ما أخذتم الرديء إلاّ على إغماض وعلى كره، فكيف ترضون لغيركم أن تعطوه الرديء وأنتم تأبون أن تأخذوه؟.

وهذا من باب الاستدلال على الإنسان بما يُقرّ به ويعترف به؛ لأنه لا يرضى أن يأخذ الرديء بدلاً عن الطيب، فكيف يرضى أن يعطي الرديء بدلاً عن الطيب؟!.

فالخبيث معنى الرديء، ومن ذلك أيضًا تسمية النّبيّ ﷺ البصل والكراث

الشجرة الخبيثة؛ لأنها رديئة منتنة كريهة، فالإنسان إذا أكل منها وبقيت رائحتها في فمه فإنه يحرم عليه أن يدخل المسجد لا للصلاة ولا لغير الصلاة؛ لأن المسجد معمور بالملائكة فإذا دخل المسجد آذى الملائكة، والملائكة طيبون، والطيبون للطيبات، تكره الخبائث من الأعمال والأعيان، فإذا دخلت المسجد وأنت ذو رائحة كريهة آذيت الملائكة.

وكان الرجل في عهد الرسول ﷺ إذا دخل المسجد وقد أكل كراثًا أو بصلاً طردوه طردًا إلى البقيع، والبقيع تعرفون المسافة بينه وبين المسجد النبوي وأنها بعيدة، يطرد إلى البقيع ولا يقرب المسجد.

وللأسف أن بعض الناس - نسأل الله لنا ولهم الهداية والعصمة - يشرب الدخان أو الشيشة ويأتي إلى المسجد ورائحة الدخان والشيشة في فمه أو على ثيابه، مع أن هذه رائحة كريهة، الكل يكرهها، حتى إن بعض الناس لا يستطيع أن يصلي جنب مثل هؤلاء، وهؤلاء يحرم عليهم أن يدخلوا المسجد والروائح الكريهة بفيهم.

وكذلك من به إصنان، والإصنان رائحة كريهة تفوح من إبطيه، أو تفوح من أذنيه، أو تفوح من رأسه وتؤذي، فإنه لا يجوز أن يصلي مادامت الرائحة المؤذية فيه، لا يجوز أن يدخل المسجد، بل يبتعد.

والحمد لله فإن هذه من المصائب والبلاوي، فإذا ابتليَ بمثل هذا لا يقول كيف أحرم نفسي المسجد، فهذا من الله عز وجل، فاحرم نفسك المسجد ولا تؤذِ الناس والملائكة، وحاول بقدر ما تستطيع أن تتخلص من هذه الرائحة، إما بالتنظيف التام، أو بأن تضع رائحة طيبة تغطي الرائحة الكريهة وبهذا يمكن أن تعالج هذه الروائح فلا يشم منك إلاّ الرائحة الطيبة.

ومن إطلاق الخبيث على الكسب الرديء قول النّبيّ ﷺ: «**كسب الحجام خبيث**»[1] الحجّام الذي يحرج الدم بالحجامة: هذا كسبه خبيث، يعني رديء،

(١) أخرجه مسلم (١٥٦٨) والترمذي (١٢٧٥).

وليس المراد أنه حرام، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو كان كسب الحجام حرامًا ما أعطاه النّبيّ ﷺ أجرته، فقد احتجم النبيّ ﷺ، وأعطى الحجام أجرته، ولو كانت حرامًا ما أعطاه؛ لأن الرسول ﷺ لا يقر على الحرام ولا يُعين على الحرام، لكن هذا من باب أنه كسب رديء ينبغي للإنسان أن ينتزه عنه، وأن يحجم الناس إذا احتاجوا إلى حجامته تبرعًا وتطوعًا، ومن إطلاق الخبيث على المحرم قوله تعالى في وصف النبيّ ﷺ : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [ الأعراف : ١٥٧ ]. يعني يُحرم عليهم الخبائث، وهي ضد الطيبات، مثل الميتة ولحم الخنزير، والمنخنقة، والخمر وما أشبه ذلك.

ومعنى الآية أنه لا يحرم إلاّ الخبائث، وليس معناها أن كل خبيث يحرمه؛ لأننا عرفنا الآن أن الخبيث يُطلق على أوصاف متعددة، لكن المعنى أنه ﷺ لا يحرم إلا الخبائث.

فالحاصل أن الله عز وجل نهى أن يقصد الإنسان الرديء من ماله فيتصدق به، وحثّ على أن يُنفق مما يحب، ومما هو خير.

ثم ذكر المؤلف حديث أبي طلحة زوج أم أنس رضي الله عنهما ، وأبو طلحة أكثر الأنصار حقلاً، يعني أكثرهم مزارع، وكان له بستان فيه ماء طيب مستقبل المسجد – أي مسجد الرسول ﷺ – يعني أن المسجد في قبلة هذا البستان، وكان فيه ماء طيب عذب، يأتيه النّبيّ ﷺ ويشرب منه، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢ ].

بادر رضي الله عنه وسابق وسارع وجاء إلى النبيّ ﷺ، وقال: يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل قوله: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء – وهذا اسم ذلك البستان – وإني أضعها: يعني بين يديك صدقة إلى الله ورسوله: يعني تصرفها إلى الله ورسوله، فقال النّبيّ ﷺ متعجبًا: «بخٍ بخٍ» كلمة تعجب يعني: ما أعظم هذه الهمة وما أعلاها «ذاك مال رابح، ذاك مال رابح».

وصدق الرسول ﷺ فهذا المال رابح، فكم من حسنة يربح هذا المال، إذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أضعاف كثيرة؟ صدق النّبيّ ﷺ: «**ذاك مال رابح، ذاك مال رابح... أرى أن تجعلها في الأقربين**» أرى أن تجعلها في الأقربين أي أقارب، ففعل رضي الله عنه وقسمها في أقاربه وبني عمه.

وسيأتي إن شاء الله على بعض ما يُستفاد من هذا الحديث، لكن تعجبوا كيف كانت مبادرة الصحابة رضي الله عنهم، ومسارعتهم إلى الخير، وكان ابن عمر إذا أعجبه شيء في ماله وتعلقت به نفسه تصدق به، لأجل أن يربحه ويلقاه فيما أمامه.

لكن ما تتمسك به فهو إما زائل عنك وإما أن تزول عنه أنت، ولابد من أحد الأمرين: إما أن يتلف أو تتلف أنت، لكن الذي تقدمه هو الذي يبقى، نسأل الله أن يعيننا والمسلمين على أنفسنا ويعيذنا من البخل والشح.

والحقيقة أن مالك الحقيقي هو ما تقدمه، وقد ذبح آل النّبيّ ﷺ شاة وتصدقوا بها إلاّ كتفها، فقدم النّبيّ ﷺ وقال: «**ما بقي منها؟**» قالت عائشة رضي الله عنها: ما بقي منها إلاّ كتفها، يعني أنها تصدقت بها كلها إلاّ كتفها، فقال النّبيّ ﷺ: «**بقي كلها غير كتفها**»[1] والمعنى أن الذي أكلتم هو الذي ذهب، وأما ما تصدقتم به فهو الذي بقي لكم.

فالحاصل أن الصحابة وذوي الهمم العالية هم الذين يعرفون قدر الدنيا وقدر المال، وأن ما قدموا هو الباقي، وما أبقوه هو الفاني، نسأل الله أن يعيذنا والمسلمين من الشح والبخل والجبن والكسل.

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٤٧٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٤٤).

## فضل كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم

عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب رضي الله عنه من بنيه حين عميَ، قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث بحديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلاّ في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يُعاتب أحداً تخلف عنه، إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله تعالى بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتها في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلاّ ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازًا، واستقبل عدداً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ ولا يجمعهم كتاب حافظ ( يريد بذلك الديوان ) قال كعب: فقلّ رجل يريد أن يتغيب إلاّ ظن أن ذلك سيخفى به ما لم ينزل فيه وحي من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليها أصعر، فتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقتُ أغدو لكي أتجهز معه فأرجع ولم أقضِ شيئًا، وأقول – في نفسي -: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزلْ يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه، ولم أقضِ معه جهازي شيئًا، ثم غدوتُ فرجعتُ ولم أقضِ شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا

وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلتُ، ثم لم يقدّر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة، إلاّ رجلاً مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «**ما فعل كعب بن مالك؟**» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه، والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت، والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلاّ خيرًا.

فسكت رسول الله ﷺ، فبينا هو على ذلك رأى رجلاً مبيضًا يزول به السراب، فقال رسول الله ﷺ: «**كن أبا خيثمة**» فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدّق بصاع التمر حين لمزه المنافقون.

قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثيّ، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بمَ أخرج من سخطه غدًا وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادمًا زاح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنجُ منه بشيء أبدًا فأجمعت صدقة، وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعًا وثمانين رجلاً فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى.

حتى جئت فلما سلمت تبسم المغضب، ثم قال: «**تعال**» فجئت أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: «**ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك!**» قال: قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله يسخطك عليّ، وإن حدّثتك حديث

صدق تجد عليّ فيه، إني لأرجو فيه عقبى الله عز وجل، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد صدق، فقمْ حتى يقضي الله فيك**»، وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، قال: فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردتُ أن أرجع إلى رسول الله ﷺ، فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان، قالا: مثل ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال ابن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة.

قال: فمضيتُ حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس – أو قال: تعيروا لنا – حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ، وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليّ من جفوة المسلمين، مشيت تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي، وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله تعالى هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدتُ، فناشدته فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط

أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إليّ حتى جاءني فدفع إليّ كتابًا من ملك غسان، و كنت كاتبًا، فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعك، فالحقْ بنا نواسك، فقلت حين قرأتها: وهذه أيضًا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجّرتها.

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال: لا، بل اعتزلها فلا تقربنها، وأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك، فقلتُ لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربنك، فقالت: إنه والله ما به من حركة إلى شيء، ووالله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في خدمتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بذلك عشر ليال، فكمل لنا خمسين ليلة من حين نهى عن كلامنا.

ثم صليتُ صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منّا، قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب ابن مالك، أبشر، فخررت ساجداً، وعرفتُ أنه قد جاء فرج فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله عز وجل علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا.

فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إلى فرس، وسعى ساعٍ من أسلم قبلي وأوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي

سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقتُ أتأم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئونني بالتوبة، ويقولون لي: لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنّاني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمتُ على رسول الله ﷺ قال: وهو يبرق وجهه من السرور: «**أبشر بخير يوم مرّ عليك، منذ ولدتك أمك**» فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «**لا، بل من عند الله عز وجل**» وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر، وكنّا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**» فقلت: إني أمسك سهمي الذي بخيبر، وقلتُ: يا رسول الله، إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق، وإنّ من توبتي أن لا أحدث إلاّ صدقًا ما بقيت، فوالله ما علمت أحدًا من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تعالى، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ**﴾ حتى بلغ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)**﴾ [التوبة: ١١٧ - ١١٩].

قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك

الذين كذبوا، إن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فقال الله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦].

قال كعب: كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ وليس الذي ذكر مما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه».

وفي الرواية الأخرى: «أن النّبيّ ﷺ خرج في غزوة تبوك يوم الخميس، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس»، وفي رواية: «وكان لا يقدم من سفر إلاّ نهاراً في الضحى، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه» (١).

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩)، وانظر شرح قصة كعب بن مالك وصاحبيه في «قصص القرآن» للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط دار الإيمان - الإسكندرية.

obeikandl.com